AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

Z392

المنتخب

في

تاريخ أدب العرب

وفق المنهج الأخير الذى قرره مجلس الأزهر الأعلى
على طلاب الأقسام الأولية بالمعاهد الدينية

لواضعه

مصطفى محمد زيد

زيد

المدرس بالأزهر

الطبعة الثانية

١٣٤٨ هجرية — ١٩٢٩ ميلادية

حقوق الطبع لواضعه

58747

المطبعة المصرية بالأزهر
لصاحبها محمد محمد عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم مولى النعم، وموفق الهمم، وأصلى على منبع الحكم، وأبلغ مبعوث للأمم، وأستمد منك العون والهداية وأسألك التوفيق فى البدء والنهاية ؟

مصطفى بدر زيد

٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هجرية

١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ميلادية

تاريخ أدب اللغة العربية

تعريفه : علم يبحث عما طرأ على اللغة العربية فى أدوار حياتها : من سعة ونماء . وارتقاء أو انحطاط . وعن النابغين فيها وما قسم لهم من رائق المعانى وفصيح العبارات . وعن نشأة العلوم المدونة بها وتاريخ طروئها على أهلها (١)

موضوعه : اللغة العربية من جهة نشأتها وماطرأ عليها من عوامل نموها وبواعث صعودها أو هبوطها . والنابغون فيها وما انحسرت عنه قرائحهم فى مختلف عصورها

فوائده :

١ — الوقوف على أساليب العرب لتعرف أذواقهم وأفكارهم فى مختلف عصورهم

٢ — معرفة الأسباب التى طرأت على أدب اللغة فى أزمنته المتباينة فقضت بارتقائه أو انحطاطه

٣ — الرسوخ بصاحبه فى تاريخ الأدب ، وحفظه من الخطأ فى الحكم على الحوادث الماضية

(١) وأدب اللغة - هو مايؤثر من نثر رائق ونظم رائع . ومايتصل بهما لتفسيرهما والدلالة على موضع الجمال فيهما من جهة . أو نقدهما من جهة أخرى

٤ — الاحاطة بمذاهب النابغين فى فنون البيان لاختيار أسلسها . لينهج طلاب الأدب نهج المجيدين فتظل اللغة حية وارفة

٥ — اكتساب ملكتى النقد . والموازنة : بين عصر وآخر . أو بين فحول الشعراء . ومصاقع الخطباء ونوابغ الكتاب

٦ — الرقابة على ما دون فى علوم اللغة وعلى ماجاء فيه من قواعد وشواهد إذ المتمكن من تاريخ الأدب يسهل عليه إرجاع الأشياء إلى أصولها . وبيان ناحية الصواب فيها

نشأة اللغات

اللغة : ألفاظ وضعت بازاء معان معينة متى ركبت على وجه من وجوهها الخاصة بها أدت أغراض أهلها

واللغات على اختلافها مرجعها إلى أصل واحد هو لغة الانسان الأول ولم يصل الى الباحثين فى أصول اللغات بطريقة قاطعة : كيف كانت لغته ، ولا كيف وضعت . ولذا اختلف العلماء فى ذلك

فقال فريق إنها وحى وتوقيف من الله تعالى . زاعمين أن الله علمه لغات البشر ما خلق منها وما لم يخلق وقوفا عند ظاهر قوله تعالى : وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

وقال آخرون إنها اصطلاح وتواضع ولا يفهمون من الآية سوى أن

المراد من التعليم :الاقدار على الارتجال ،والتحويل . كما فى قوله تعالى : خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ . أو التنويع ومحاكاة ما يحيط به بقدر مافيه من قوة التميز

وطريقة ذلك أن آدم وبنيه عندما دعت حاجتهم الى التعبير عن بعض الموجودات وضع أحدهم له لفظاً حتى إذا سمعه الآخر فيما بعد تذكر مسماه وميزه عما عداه بدون داع إلى قرينة دالة عليه . أو إشارة إليه . أو احتياج إلى مشاهدته . وعلى هذا النهج وضعوا أسماء المسميات التى اقتضاها وجودهم حتى تكونت اللغة الأولى الضرورية التى هى بمثابة عامل جوهرى فى الاحتفاظ بوجودهم — ثم اتسعت هذه اللغة بطرق النمو : كالاشتقاق والتحويل ، والزيادة ، والنقص ، والتحريف

وأما ماتفرع عنها من لغات فقد برز إلى الوجود إثر هجرة بعض طوائف أهل اللسان الأصلى إلى نواح مترامية الأطراف . ورؤيتهم فيها مرئيات لم يروها من قبل . وحدوث وسائل من وسائل الحياة لاعهد لهم بها . واقتضاء تقاطعهم : نسيانهم بعض كلمات من اللسان الأصلى . أو تركها لعدم صلاحيتها . أو تحويرها حسب حاجتهم . فاضطرهم هذا كله إلى وضع لغاتهم بالطريقة السالفة . تباعدت عن أصلها بمرور الزمان . وتباين المكان . ثم اتسعت تلك اللغات . وتنوعت أساليبها حالما ارتقت صفاتهم الانسانية . وزخر عمرانهم

والظاهر أن ذلك الوضع كان (١) بارتجال بعض الكلمات بطبيعة القوة الناطقة (٢) بمحاكاة الأصوات الفطرية فى الانسان الدالة على الانفعالات الوجدانية : من رجاء وغضب ، ولذة وألم ، وطمأنينة وفزع (٣) بالاشتقاق من أصوات الموجودات المحيطة به من حيوان وماء ورعد وهواء — يرجح هذا (١) أنا نجد الأطفال قبل أن يعرفوا لغة آبائهم يعبرون عن بعض الموجودات بما يقذف فى أسماعهم من أصواتها . فيقولون « عوعو » للكلب و « كاكا » للدجاج و « ماما » للشاة و « نونو » للهرة . وما الانسان فى مبدأ أمره إلا طفل تاريخى (٢) مانراه فى لغتنا من المشاكلة التامة بين الأصوات وأسمائها كدوى الريح . وخرير الماء . وهدير الحمام . ونقنقة الدجاج (٣) مايوجد فى كثير من اللغات الحية من الكلمات المأخوذة من أصوات مدلولاتها وعليها مسحة من نغمات الأصوات الخلقية (١)

---

(١) فمن ذلك فى العربية . وطواط . وغطغاط . وهدهد . وعقعق . وقاق . وكلها أسماء طيور

وفى الانجليزية (كك) للديك و (دك) للبط و (كرو) للغراب

وفى الفرنسية (وا) للوزة و (كوك) للديك و (كربو) للغراب

والذى تطمئن اليه النفس هو أن جميع اللغات من وضع البشر للمرجحات التالية

(١) أن الآية ليست قطعية لما سلف . ولاحتمال أن يكون المراد بالأسماء أسماء الملائكة . أو أسمائه تعالى أو أسماء النجوم كما قيل بكل هذا (٢) فى القول الأول اساءة الظن بالانسان . واتهام سمعه وعقله بالقصور عن استنباط اللغة والانسان الأول

أسباب اختلاف اللغات

عُنِى الباحثون فى اللغات بردها إلى أمهات أصلية تولدت عنها . وهذه الأمهات سليلة لغة الانسان الأول . ومرجع اختلاف هذه اللغات إلى أسباب أهمها : —

١ — تفرق بنى نوح فى الاقطار . وضربهم فى الأرض ابتغاء الرزق . وتباين مواطنهم . وشدة ما كانوا عليه من التقاطع لعدم المواصلات لديهم

٢ — تنوع مرئياتهم . ووجود كل فريق فى إقليمه مالم يكن يعهده فى بيئته الأولى

٣ — انتزاع كل فريق من صفات مرئياته . وأحوالها . وأصواتها : أسماء تلائم خاطره . ثم مازالت حاجاتهم تسعى بهم إلى الاكثار من ذلك الانتزاع حتى انطوت لغتهم الأولى فى ثنايا ما استحدثوا . وأصبح لكل شعب لسان يباين لسان الآخر

هو الانسان الآن الذى لاينى يخترع ويبتدع (٣) القائلون بالرأى الأول توهموا فيما يظهر أن الانسان يوم خلق كان الوجود فى حالة عماء وسكون فلم يكن يحس شيئاً فكان من الضرورى أن يلهم لغته . وهذا مناف لسنة التكوين (٤) عدم الحاجة الى تعلم الانسان الأول جميع اللغات وتعذر الاستفادة منه فى جوف التاريخ (٥) إن المبتكرات قد وضع لها المبتكرون دوال عليها وتداولوها بينهم وقلدهم خلفهم وهذا مشاهد محسوس . ومثلها المصنوعات . والمكشوفات (٦) لغات الأمم آخذة فى النمو ومجامعها لاتفتأ تضع أسماء لما يبتدع . وتهذب ألفاظا لاتلائم أذواق المدنية الحاضرة وهذا بلاشك لاعهد للانسان الأول به

٤ ــ استحالة اتفاق خواطرهم فيما يضعون من الألفاظ للمشترك من تلك المسميات

٥ ــ مافى الأقاليم من التأثيرات المختلفة فى الألفاظ مثل مانشاهد تأثيرها فى الطباع والأخلاق والقوى الداخلة فى تركيب الجسم

٦ ــ مايظهر من أسرار الكون . ومايجد من المعانى التى لاحد لها ومايستدعيه التقدم العمرانى من أنواع الملابس وأصناف المطاعم ومايبتدع من ضروب المخترعات والصنائع

٧ ــ مايعرض للألفاظ من عوامل التغيير . كالنحت والاشتقاق والقلب والابدال والمجاز . مما تصير به اللغة الواحدة عدة لغات

العرب وأقسامهم

العرب أمة زينت جبين الدهر بسيادتها ومنعتها . واعتزازها : بقوميتها وعزة أنفسها ودقة إحساسها . وحدة أذهانها . وفصاحة منطقها . وهى أقدم أمة أنبأ بها التاريخ بعد الطوفان . اتفقت كلمة المؤرخين على أنها من الشعوب التى يتصل نسبها بسام بن نوح . وعلى انقسامها قبل الاسلام إلى طبقات ثلاث

١ ــ العرب البائدة . وهم أقدم أجيال العرب . انقرضوا وذهبت أخبارهم إلا ماقصه القرآن الحكيم عنهم . ومن أشهر قبائلهم . عاد . ثمود . طسم وجديس . العمالقة . جرهم الأولى

٢ ــ العرب العاربة . وهم بنو قحطان الذين هاجروا من حوض نهر الفرات الى اليمن واختلطوا ببقايا العرب البائدة . وامتزجت لغتهم بلغتهم ثم تفرقوا فى أنحاء الجزيرة بعد سيل العرم ومن أشهر قبائلهم . سبأ[١] وحمير . وكهلان

٣ ــ العرب المستعربة . وهم بنو إسماعيل الذين اختلطوا بالقحطانيين وصاهروهم وأخذوا اللغة عنهم . ومن أمهات قبائلهم . ربيعة . ومضر . وإياد . وأنمار

موطن العرب

هو ذلك القسم الجنوبىّ الغربىّ من آسيا . الواقع غربى الخليج الفارسى وشمالىّ بحر الهند . وشرقىّ البحر الأحمر . ونهايته من الشمال مجال لاختلاف العلماء

وأقسامه خمسة . الحجاز . اليمن . تهامة . نجد . اليمامة

عصور تاريخ أدب اللغة العربية

اصطلح أغلب الباحثين فى تاريخ الأدب العربى على تقسيمه تقسيما تقريبياً باعتبار مسايرة اللغة وآدابها للانقلابات الدينية والسياسية والاجتماعية إلى عصور

(١) سميت القبيلة باسم أول ملوكها وهو عبد شمس (الملقب بسبأ) بن يشجب ابن يعرب بن قحطان

١ — عصر الجاهليـة . ويبتدئ قبل الاسـلام بقرن ونصف وينتهى بظهوره سنة ٦٢٢ م

٢ — عصر صدر الاسلام . ويبتدئ بظهوره . وينتهى سنة ٤١ هـ

٣ — عصر الدولة الأموية . ويبتدئ سنة ٤١ هـ وينتهى سنة ١٣٢ هـ

٤ — عصر الدولة العباسية ويبتدئ بقيامها سنة ١٣٢ هـ وينتهى بسقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ

٥ — عصر الدول التركية . ويبتدئ من سنة ٦٥٦ هـ وينتهى بولاية محمد على باشا على مصر سنة ١٢٢٠ هـ

٦ — عصر النهضة الحديثـة . ويبتدئ من قيام الدولة العلوية بمصر سنة ١٢٢٠ هـ ويستمر حتى الآن

العصر الأول — عصر الجاهلية

اللغة العربيـة : لغـة سامية الأصل . انفصلت منه حينما انفصل الناطقون بها من إخوانهم واستوطنوا تلك البـلاد التى نسبت اليهم . لم يقف الباحثون فى اللغات على مبدأ تـكوينها وامتيازها عن شقيقاتها — أرقى أخواتها . وأقربها إلى أصلها . أدقها تصويرا . وأبلغها تعبيرا

امتازت : باتساع مادتها . ودلالة اللفظ الواحد على المعـانى المتكثرة وورود الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد . وكثرة أسماء الأضداد فيها .

ووجود الصفات المترادفة . وتأليف كلماتها من حروف متصلة مهما تنوعت خطوطها . وائتلاف ألفاظها ومعانيها . واطراد الاعراب فى آخر كلماتها . واحتياج كثير من اللغات الشرقية اليها كالفارسية والعبرية والتركية

خصت بتلك المميزات لما فى أصل تكوينها من أسباب للنماء . ودواع للحياة . كاطراد التصريف والاشتقاق . وتنوع المجاز والكناية . وتعدد المترادف والمشترك . والنحت . والتعريب . والقلب . والابدال

مراتب تهذيب اللغة وتوحيدها

أثبت الباحثون أن القبائل العربية كانت تتكلم بلغات كثيرة مختلفة (١) متميزة عن هذه اللغة التى وصلت الينا ونزل بها القرآن الكريم وجاءت به السنة ثم بادت هذه اللغات بعد أن امتزج الكثير منها بهذه اللغة المروية لنا ولا تزال آثار منها ماثلة فيها حتى الآن (٢)

---

(١) أسباب اختلافها : عدم الكتابة و بقاء اللغة دائرة على ألسنتهم . عدم الرابطة بينهم من دين أو امارة . تباين البيئات . تباعد الديار . اختلاف المرئيات . تنوع وسائل المعيشة . طرق الوضع والارتجال — وطرق اختلافها : الابدال . أوجه الاعراب . أوجه البناء . التردد بين الاعراب والبناء . التصحيح والاعلال . الاثبات والحذف المد والقصر — التذكير والتأنيث . الادغام والفك

(٢) من هذه الآثار مايسمى طمطمانية حمير وهى ابدال (أل) بأم وتكلم بها النبى صلى الله عليه وسلم . وشنشنة اليمن . وهى جعل الكاف شيناً مطلقا فيقولون فى (لبيك) (لبيش) وفى كلمنى . شلمنى . وعجعجة قضاعة . وهى جعل الياء المشددة جيما . فيقولون

وغاية ما علم من مراتب هذا التوحيد وعوامل هذا الامتزاج أربع

١ — هجرة القحطانيين من حوض نهر الفرات الى اليمن . ومخالطتهم بقايا العرب البائدة ، وأخذهم من لغتهم ثم تفرقهم فى أنحاء الجزيرة بعد سيل العرم (١)

٢ — هجرة سيدنا اسماعيل الى الحجاز واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمجاورة والتجارة والمحاربة والمصاهرة فامتزجت العربية امتزاجا أبين من الاول وتهذبت بما أدخل عليها من لغته العبرانية وانتهاج

فى على . علج وفى مضرى . مضرج وكشكشة ربيعة . وهى ابدال كاف المخاطبة شينا فيقولون فى عليك : عليش و فى عيناك : عيناش . وتلتلة بهراء وهى كسر أحرف المضارعة مطلقا كنستعين وتعلمون . وعنعنة تميم . وهى ابدال العين من الهمزة المبدوء بها فيقولون فى ان . عن . وفى ابدال عبدال

(١) العرم قيل جمع عرمة ككلم وكلمة . وقيل لا مفرد له . وهو سد يعترض به الوادى . وقيل هو السيل . وحادثة سيل العرم : أنه كان لسبأ فى اليمن سدود كثيرة كانوا يقيمونها فى عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى ما ارتفع من الأرض ولتوزع بانتظام كما تفعله الدول المتمدينة اليوم تهدمت تلك السدود بسيل عظيم أرسله الله عليهم أغرق بلادهم ودمرها وتفرقت عقبه قبائل سبأ فى أنحاء الجزيرة ذكره الله تعالى فى كتابه المجيد وبين سببه فقال تعالى فى سورة سبأ ﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية﴾ الآيات الخمس وقد اختلف المؤرخون فى وقت حدوثه فقيل حدث فى القرن الثانى للميلاد وقيل غير هذا مما هو بعيد عن الصواب فان المكتشفين لم يقفوا على تاريخه ولم تدلهم الكتابات التى اكتشفوها الا على تاريخ ترميمه . وقد استظهر السيد محب الدين الخطيب فى رسالته اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب أنه حدث زمن ميلاد المسيح

القبائل من ولده منهجه

٣ — الاسواق والمجتمعات واجتماع الوفود فيها : للتجارة ومفاداة الأسرى والمفاخرة والمنافرة [١] والمقاضاة . واقتضاء ذلك ألسنة تنطق باللفظ الأسلس والكلمة المصطفاة حتى عمت نهضة التوحيد وشاع القول الرائع

٤ — مزج قريش بلغتها كثيرا مما استحسنته من لغات القبائل الوافدة اليها والتى اختلطت بها فى رحلتيها . وانتقاؤها من كلماتهم أعذبها حتى خلصت لغتها من مستقبح اللهجات [٢] ثم إيثار الخطباء والشعراء لها لخفتها وسلاستها . ومحاكاة للغة ذى المكانة بينهم . لاختصاص قريش بزعامة الحج وسدانة الكعبة والحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة [٣] وبهذا تم امتزاج تلك اللغات وتمثلت فى لغة قريش

(١) المفاخرة هى التباهى بمفاخر الآباء والمنافرة أن يتحاكم رجلان فيما يقع بينهما من تفاخر بالحسب وتباه بالعدد وجليل المحامد الى الاشراف من حكام العرب ليفصلوا بينهما وسميت منافرة لقول كل منهما فى بدء كلامه أنا فرك بكذا وكذا

(٢) لهجة القبيلة لغتها مراعى فيها . الترقيق والتفخيم والتتميم والترخيم والامالة وعدمها والهمز وعدمه والوصل والقطع والاثبات والحذف وما الى ذلك

(٣) سدانة الكعبة . خدمتها . والحجابة . سدانة البيت . والسقاية . الموضع يتخذ لسقى الناس : والرفادة . ما كانت تخرجه قريش من أموالها وتعطيه منقطع الحاج واللواء منصب بمنزلة وزارة الحربية فاذا أخرجه من كان فى يده اجتمع عنده كبار قريش لايتخلف منهم أحد ويكون ذلك عندما تنزل بهم نازلة أو أمر هام والندوة . دار كانوا يجتمعون فيها للتشاور فى أمورهم . والندوة الجماعة — وكانت السقاية والرفادة

ونزل بها القرآن الحكيم

واللغة فى كل عصر مرآة الأمم ترتسم فيها صور مقوماتها وتتجلى فيها ظواهر حياتها بارزة فى مقاصدها ومعانيها وألفاظها — وتجمل فى هذا العصر فيما يلى :

مقاصد اللغة التى تؤديها

١ — وصف الحياة البدوية ومظاهرها : من إقامة وظعن وتطلب كلأ واستدرار مطر

٢ — التفاخر بشرف المحتد وجليل المحامد، والتباهى بالظفر فى الحروب

٣ — ايقاظ هممهم للذود عن حياضهم والأخذ بأثارهم

٤ — شرح ما تقع عليه حواسهم من مناظر طبيعية ووصف ما يشاهدونه من احوال اجتماعية

معانيها

١ — إرسال المعانى والأفكار قريبة سهلة بدون اتعاب الفكر فى استخراج البعيد منها

٢ — إرسال المعانى المتخيلة المنتزعة من صور المحسوسات بطريق عادى لا مبالغة فيه ولا إغراق

لعبد مناف : والحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار

ألفاظها

(١) استعمال الألفاظ فى معانيها الوضعية غالباً (٢) غلبة الايجاز (٣) كثرة المترادف (٤) قلة الأعجمى (٥) خلوها من اللحن والتعقيد (٦) جريان تراكيبها على مقتضى البلاغة بلا تعمل (٧) عدم تعمد الصناعة اللفظية فيها إلا ما كان من كهانهم [1]

كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين : منثورا ومنظوما

فالمنثور ما كان غير مقيد بوزن ولا محدود بقافية . والمنظوم هو الموزون المُقَفَّى

النثر

النثر هو الأصل فى الكلام وأسبق القسمين ظهورا . لسهولة إيثاره وقرب تناوله ، وعدم تقييده ، وضرورة التعبير به عن وسائل الحياة . ولابانته عن المقاصد بوجه أوضح ، وسعة فى العبارة ، واصابة فى المعنى

وينقسم إلى مرسل . ومسجع — فالمرسل . هو الذى يطلق ولا يراعى

(١) فقد كان نثرهم قوامه السجع . يعمدون به الى زيادة التأثير فى السامعين . وصرفهم عن التتبع لما يصدر منهم من الأخبار التى كانت غاية فى الغرابة ومدعاة للعجب . ومن أولئك الكهان . سطيح من مازن : وشق بن أنمار بن نزار . وسواد ابن قارب الدوسى . وطريفة الكاهنة . وفاطمة الخثعمية . وعفيراء الحميرية

فى فقراته تقفية . والمسجع هو الذى يلتزم فى آخر كل قطعتين منه أو أكثر قافية واحدة — وخيره ما جاء عفوا بلا تعمل ولا تصنع

نموذج منهما

١ — مثال المرسل . قول أكثم بن صيفىّ من خطبته امام كسرى : أفضل الأولاد البَرَرَة . خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسُنت سريرته . يكفيك من الزاد ما بلغك المحَل حسبك من شرٍّ سماعُه . من شدد نَفَّر ومن تراخى تألَّف

٢ — مثال المسجع . قول عمرو بن كلثوم التغلبى يخاطب بنيه : وإذا حُدِّثتم فَعُوا . وإذا حَدَّثتم فأوجزوا . فانه مع الاكثار . يكون الاهذار وموت عاجل . خير من ضنًى آجل . واعلموا أن أشجع القوم العطوف . وخير الموت تحت ظلال السيوف . ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب . ولا فيمن إذا عوتب لا يعتب

ولم يؤثر عن العرب كثير من النثر . لعدم الكتابة لديهم ، ولصعوبة حفظه وبقائه دائرا على الألسنة . بيد أن بعضا منه علق بالأذهان لنفاسته ووعته الأسماع للطفه . واتصل بالنفوس لرقته . كالحكم والأمثال والوصايا والخطب

الحكمة والمثل

الحكمة قول موجز رائع برىء من الحشو متضمن لحكم ثابت مسلم

والمثل قول سائر مشهور تمثل به الحالة التى يقال فيها بالحالة التى قيل من أجلها

والفرق بينهما أن المثل لابد له من حادثة قيل فيها — حقيقية أو فرضية — ثم نقل عنها الى مايماثلها بدون تغيير . والحكمة ليست كذلك

ويكون كل منهما نثرا ، ونظما

وينقسم المثل الى حقيقى ، وفرضى . فالحقيقى ما بنى على حادثة واقعية

والخيالى ماوضع على لسان حيوان أو نبات أو جماد وضعا خياليا منطويا على عظة أو مشيرا الى مغزى سياسى

وقدامتازت الامة العربية بالاكثار من الأمثال الحقيقية — وعمد الحكماء فى كل أمة الى الأمثال الفرضية أيام الظلم والاستعباد تحايلا على ازالته ، وتوصلا الى ردع ملوكهم وأمرائهم

نماذج منهما

(١) فمن حكم الجاهلية النثرية : أول الحزم المشورة . حيلة من لاحيلة له الصبر . من مأمنه يؤتى الحذر . الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، العجز مفتاح الفقر

(٢) ومن حكمها النظمية :

قليل المال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

ومن يجعل المعروف من دون عِرضه يَفِرْه [١] ومن لا يتق الشتم يُشتم

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يَغْوَ لا يعدم على الغى لائما

(٣) ومن أمثالها النثرية الحقيقية : انك لا تجنى من الشوك العنب [٢] أحشَفاً وسوء كِيلَة [٣] . من استرعى الذئب ظَلَم [٤] . إن كنت ريحاً فقد لاقيتَ إعصارا [٥] سبق السيفُ العَذَل [٦]

(٤) ومن أمثالها النظمية :

أوردها سعد وسعد مُشْتَمِلْ ما هكذا ياسعد تُورَد الابل [٧]

إنى وقتلى سُلَيْكا ثم أعقله كالثور يُضْرَب لما عافت البقرُ [٨]

(٥) ومن أمثالها النثرية الفرضية : لأحب تخديش وجه الصاحب [٩]

---

(١) يحفظه (٢) يضرب لمن يرجو جميلا من ذى المنبت السوء (٣) يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين (٤) يضرب لمن ولى غير الأمين (٥) يضرب للمدل بنفسه اذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد ، والاعصار ريح شديدة (٦) يضرب فى استحالة تدارك مافات . والعذل اللوم (٧) يضرب لمن قصر فى طلب الأمر (٨) يضرب فى عقوبة الكبير ليخضع الصغير (٩) يضرب لمن يريك من نفسه النصيحة ثم يغدر. وأصله فيما زعم العرب : أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين شعبين فاراد أن يغتال به الأسد فأتاه وقال له يا أبا الحارث : الغنيمة الباردة شحمة رأيتها بين مضيقين فكرهت أن أدنو منها وأحببت أن تتولى ذلك أنت فهلم لأريكها فلما ذهب به أراد أن يدخل الأسد فضاق به المكان فقال له الثعلب ادفع براسك فدفع بها حتى نشب فلم يقدر أن يتقدم أو يتأخر فأقبل الثعلب يخدشه من قبل دبره . فقال له الأسد ما تصنع يا ثعالة قال أستنقذك . فقال فمن قبل الرأس اذاً . فقال الثعلب : لأحب تخديش وجه الصاحب

بذلك النّجار يَختلف (١)

(٦) ومن أمثالها النظمية الفرضية . قول النابغة على لسان حية :

فقالت يمين الله أفعل إننى رأيتك غَدَّارا يمينُك فاجرَهْ
أبى لَى قبر لايزال مُقابلى وضربةفأسٍفوقرأسىفاقِرَهْ (٢)

الخطابة

الخطابة : إلقاء الكلام المنثور من فصيح . نابه فى جمع حافل ومشهد عظيم لاقناعهم بما فيه الخير لهم فى حياتهم ومعادهم

نشأت الخطابة لدى العرب عقب تكوينهم جماعات بشرية ، طبعوا عليها شأن كل أمة أمية لايحوطها نظام ولاترتبط بقانون عام

دواعيها (١) استنهاض الهمم لخوض غمار الوغى . دفاعا عن شوكتهم

---

(١) يضرب للمختلفين فى شىء ما وأصله فيما زعموا : أن الثعلب اطلع على بئر فاذا فى أسفلها دلو فركب الدلو الأعلى فانحدرت به وعلت الأخرى فشرب وبقى فى البئر حتى جاءت الضبع فقال لها انزلى فاشربى فانحدرت بالدلو وارتفعت الأخرى بالثعلب فلما رأته مصعدا قالت له أين تذهب فقال هذا المثل . ويروى كذلك التجار تختلف (٢) أصله فيما زعموا أن حية اغتالت أحد أخوين . فجاءها الآخر ليأخذ بثأر أخيه فصالحته على ترك الوادى يرعى فيه ماشاء وتعطيه كل يوم دينارا مابقيت وتعاهدا على ذلك فلما كثر ماله حفزه الانتقام لأخيه على نكث العهد وتهيأ لضربها بفأس فاخطأتها وأصابت جحرها ثم ندم وطلب العهد ثانية فلم تقبل وقالت كيف أعاودك وهذا أثر فأسك . فأشار اليه النابغة الذبيانى فى قصيدته — والفاقرة — التى تكسر الفقار

وتشفيا من غرمائهم (٢) ماجبلوا عليه من الميل إلى التفاخر بكرم الأصل ، وشريف الخصال (٣) تباعد قبائلهم ، وعدم تقدم سبل المواصلات لديهم وحاجتهم إلى رسل تقوم خطبهم مقام رسائلهم

مقاصدها (١) الحث على التمسك بالفضائل وعلى تجنب الرذائل (٢) التفاخر بالحسب. والتباهى بقوة العصبية وحميد الفعال (٣) السفارات بين رؤساء القبائل وبينهم وبين الملوك المجاورة لهم : فى وسائل حياتهم (٤) الزواج واقتضاؤه التنويه بالعروسين

أسباب رقيها (١) تعدد الخطباء بتعدد القبائل وسهولة استماع كل جمع إلى خطيب واحد (٢) قوة البيان التى طبعوا عليها وفرت أسباب التفاهم بين خطبائهم وسامعيهم (٣) وجود العرب فى بيئة حرة ، وشعورها بأنها ذات مجد وفخار (٤) كثرة الحروب التى تدافع بها عن قوميتها (٥) شهود الأسواق والمجامع العامة للتفاخر بالآثار الأدبية

عاداتهم فيها (١) أن يكون الخطيب قائماً على مرتفع من الأرض أو جالساً على دابته إلا فى خطب النكاح (٢) أن يعتمد على الأرض بالقوس فى الحروب وجليل الحوادث ، وبالعصا فى السلم (٣) أن يشير باحدى جوارحه أو بما فى يده أداء لبعض المقاصد واستدعاء انتباه السامعين

كمال الخطيب — ولا يبلغ الخطيب لديهم درجة الكمال حتى يكون (١) شريف الأصل (٢) صادق الحديث (٣) حسن الهيئة (٤) قليل

التلفت (٥) متخير اللفظ (٦) حسن الالقاء (٧) جهير الصوت (٨) مخرجاً للحروف من مخارجها (٩) قوى الحجة (١٠) حاد الجنان (١١) كثير الريق (١٢) قليل اللحظ

أسلوبها — يمتاز الأسلوب الخطابى فى هذا العصر بكونه : رائع اللفظ . جيد السبك . خلاب العبارة قصير السجع . كثير الفواصل . مملوءا بالحكم والأمثال . أميل الى القصر وقل مجيئه طويلا عند اقتضاء المقام — ومن أشهر خطباء هذا العصر

قس بن ساعدة الايادى

حكيم صائب النظر ، وخطيب سديد الرأى ، مضروب به المثل طوال الزمان : فى البلاغة والبيان . دان بالتوحيد ، وآمن بالبعث ، وأرشد الى عبادة الخالق ، وحض على مجانبة الأوثان ، ودعا لذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فى المجامع العامة ، والمشاهد الحافلة . أول من خطب على شَرَف[1] ، وأول من اتكأ على سيف أو عصا ، وأول من قال فى خطبته أما بعد ، وأول من قال فى رسائله من فلان الى فلان وهو القائل : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . سمعه النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فى عكاظ فعجب من حسن كلامه وأيده . عمر طويلا ومات قبل البعثة

(١) مكان عال

منزلته فى الخَطابة — كان قوى التأثير، بعيدا عن اللغو والحشو، قصير الفواصل، يغلب سجعه على مرسله، مهذَّب الألفاظ، يعمد فى أسلوبه الى ضرب الأمثال، واستنتاج الحكم — ومن خطبه خطبته فى سوق عُكاظ[١] وهى:

أيها الناس. اسمعوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج[٢]، ونهار ساج[٣]، وسماء ذات أبراج[٤]، ونجوم تَزْهَر[٥]، وبحار تَزْخَر[٦]، وجبال مُرساة، وأرض مُدحاة[٧]، وأنهار مُجراة. ان فى السماء لخَبَرًا[٨]. وان فى الارض لعبرًا. مابال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرَضوا فأقاموا. أم تُركوا فناموا. يقسم قُسٌّ بالله قسما لا اثم فيه: أن لله دينا هو أرضى لكم، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه. انكم لتأتون من الأمر منكرا ثم أنشد[٩]

---

(١) اسم مكان على مرحلتين من مكة للذاهب الى الطائف فى طريق السيل كانت تقام فيه أهم سوق للعرب. قرب موسم الحج تحضرها القبائل كلها. للمتاجرة والمفاخرة والمنافرة ومفاداة الأسرى وأداء الحج. يتبارى فيها الخطباء والشعراء. ويتحاكم الخصوم الى حكام ارتضوهم. وقد كان كل شريف انما يحضر سوق ناحيته عدا عكاظ فيوافيها جميع سادات العرب. ومن أشهر أسواقهم مجنة. وذوالمجاز. ودومة الجندل. وهجر. والمشقر (٢) مظلم (٣) ساكن (٤) الأبراج اثنا عشر برجا تقابلها الشمس فى طريقها طول السنة. واحدها برج وهو صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة حيوان أوغيره (٥) تتلألأ وتضىء (٦) تطمى وترتفع (٧) مبسوطة. وجاءت هكذا لمشاكلة أخواتها فى الوزن فتحفظ ولايقاس عليها (٨) أى لدليلا على خالق عظيم (٩) ونسب اليه شعر

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بَصائرْ[١]
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مَصادر[٢]
ورأيت قومى نحوها يسعى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى الىّ م ولا من الباقين غابر[٣]
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

اكثم بن صيفىّ التميمىّ

خطيب من أشهر الخطباء ، وحكيم من أبلغ الحكماء ، حَكَمٌ مُلْهَمٌ ، صائب الراى ، بالغ الحجة ، أعرف الخطباء بالانساب ، ذو مكانة عالية ، معدود من أشراف قومه ورؤسائهم ، زعم الخطباء الذين أوفدهم النعمان الى كسرى وشهد له بقوله : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى[٤] . أدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وأرسل ابنه الى مكة فأتاه بخبره : من دعوته الى التوحيد ، وأخذه بمحاسن الأعمال . فجمع قومه وحضهم على الايمان به وشد أزره . وفى اسلامه خلاف . عمر طويلا . ومات سنة ٦١٢ م

غير هذا . ولكن كل ماصح له هو هذه الخطبة فقط (١) بصائر جمع بصيرة — وهى العلم والخبرة (٢) المورد . موضع الورود للشرب والمصدر . مكان الرجوع عن الماء . يريد تذهب الناس ولا تعود (٣) الغابر . الباقى . ويستعمل فيما مضى فيكون من الاضداد

(٤) ذهب غير واحد من المحققين إلى أن خبر وفود النعمان على كسرى مصنوع

منزلته فى الخطابة — كان حلو الالفاظ ، رشيق الاسلوب . حسن الايجاز ، قليل المجاز ، دقيق المعانى ، كثير ضرب الامثال وسرد الحكم ، غير ملتزم للسجع ، ميال الى الاقناع بالحجة ، معتمد فيما يقوله على شدة التأثير وقوة البيان

ومن قوله يخطب بنى تميم ويوصيهم : الصبر على جُرَع الحلم أعذب من جَنْآء(١) ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم(٢) ، وكَلْم اللسان أنكى من كلم السِّنان (٣)، والكلمة مرهونة ما لم تنجُم (٤) من الفم ، فاذا نجمت فهى أسد مِحْرَب(٥)، أو نار تَلْهَب ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب . أجدى من الطعن والضرب

ومن الخطب نوع يسمى الوصايا . جمع وصية . وهى قول مأثور قصد به الترغيب فيما ينفع ، والتنفير مما يضر . وتكون لقوم مخصوصين فى أحوال خاصة . فتكون من حكيم لقومه ، أو من سيد لعشيرته ، أو من أب لبنيه ، أو من أم لبنتها ، وتغلب عند الاحساس بدنو الاجل ، أو حلول المرض ، أو العزم على الرحلة ، أو مقاومة حادث جلل أو ما شابه ذلك — ومن أمثلتها قول هانىء بن قَبِيصَة الشَّيبانى لقومه يحرضهم على القتال :

(١) جمع جنى . وهو كل مايجنى من الشجر (٢) انتصب كالهدف يرمى بالأقاويل
(٣) كلم . أى جرح ، وأنكى — أشد ايلاما . والسنان طرف الرمح (٤) تخرج
(٥) بكسر الميم . شديد الحرب

يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناجٍ فرور. إن الحذر لا يُنجى من القدر، وإن الصبر من أسباب الظَّفَر، المنيّة، ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن فى ثُغَر النحور، أكرم منه فى الاعجاز والظهور. يا آل بكر. قاتلوا. فما للمنايا من بُدّ

الشعر

هو الكلام البليغ الموزون المقفى المعبر عن صور الخيال البديع الآخذ بالنفوس من ناحية الشعور والوجدان لا من ناحية الحجة والبرهان. وأما تعريفه بأنه الكلام الموزون المقفى قصدا فمنظور فيه إلى القالب الذى يفرغ فيه. وهو النظم. وشتان بينهما

انطباع العرب على الشعر وأسباب ذلك — العرب قد طبعوا على الشعر بفطرتهم، ونظموه بسجيتهم

١ — لما فطروا عليه: من لطافة القريحة، ودقة الحس، وحسن البيان، وذلاقة اللسان، وخلو جزيرتهم مما يحول دون التأمل، ويصد الذهن عن التفكر

٢ — وجودهم فوق أرض. جيدة التربة، مبسوطة الرقعة، نقية الأديم صافية الهواء، صاحية السماء ساطعة النجوم. مما وفر لديهم مادة الخيال البديع، والتصور الرائع

٣ — ملاءمة بيئتهم لتربية الخيال. لتنشئتهم فى جزيرتهم. أحرارا

فى شؤونهم غير خاضعين لغيرهم ، لايقيدهم قانون ، ولايذلهم سلطان . فخلا بالهم ، وانشرحت صدورهم ، فانفسح المجال لخيالهم ، وانطلقت بالشعر ألسنتهم

٤ — ماجبلوا عليه : من القلوب الكبيرة ، والنفوس الشاعرة . تؤلمهم البادرة ، وتستفزهم النظرة المريبة ، ويمتلكهم الطرب ، ويحفزهم الغضب . فلا يلبثون لدى كل حادثة أن تجيش المعانى بصدورهم . فتفيض على ألسنتهم شعراً ، صادق اللهجة ، بديع الأسلوب

عنايتهم بالشعر — وقد كان لهم بالشعر عناية تامة . فقد كان مجمع حكمهم ، وديوان علومهم ، ومستودع مفاخرهم ، وسجل وقائعهم ، ومرجع أنسابهم

مكانته فيهم — أحلوه المكان الأسمى بينهم ، وأصبح له الشأن الأول فيهم ، وغدا له التأثير العظيم على نفوسهم . حتى كان البيت الواحد منه يضع شريفهم ، ويرفع وضيعهم ، وينتشل القبيلة من وهدة ذلها ، ويسمو بها إلى مكانة عزها . وكان لنبوغ الشاعر فيهم أجل أثر ، وأجمل مظهر يولمون له الولائم ، ويحتشدون للتهنئة به حتى — نبتت فيهم طائفة تكسبت بالشعر[1] فانحطت منزلته ، وتجنبه الأشراف ، فتقدمته الخطابة

(١) أمثال النابغة . وزهير . والأعشى . وأمية . أما النابغة فقد انقطع الى مدح النعمان بن المنذر واتصل بالغساسنة ملوك الشام مع شرفه فى قومه . وأما زهير . فقد

أوليته — لم يقف الباحثون على مبدأ قول الشعر ، وأول من قاله . لمكانة العرب من الأمية ، وبعد العهد بقدمائهم . حتى جاء الرواة فوقفوا على قليل منه . تمتد صلته الى ما قبل المبعث بقرن ونصف ، وتنتهى أقدم قصائده الى عدىّ بن ربيعة الملقب بالمُهَلْهِل ، وعَبِيد بن الأبرص ، وأقدم مقطعاته (١) الى نفر سبقوه بزمن يسير . منهم زُهير بن جَناب ، ودُريد بن زيد بن نَهد ، وأبى دُواد الايادى

أغراضه — نظم العرب الشعر فى كل ما خطر على قلوبهم ، ووقعت عليه حواسهم ، وأدركته أبصارهم ، وفى كل سبيل دعا اليه وجودهم : من فخر ، ومدح ، ونسيب ، وهجاء ، ورثاء ، ووصف ، واعتذار ، وحماسة ، وأدب (٢) .

خص بمديحه هرم بن سنان المرى و والده سنانا وابن عمهما الحارث بن عوف . وأما الاعشى . فقد اتصل بالمناذرة والأكاسرة وامتدح الرؤساء والوضعاء . وأما أمية فقد انقطع الى عبدالله بن جدعان التيمى أحد أجواد قريش وساداتها

(١) المقطعة . هى الابيات دون القصيدة ، والقصيدة . مابنيت على سبعة أبيات فصاعدا (٢) الفخر هو التمدح بجليل الشيم . ورفعة الأنساب . وكرم الأحساب والمدح . هو ذكر المرء بالحسنى . وشرف النجار . وحميد الفعال . والنسيب : ويسمى الغزل والتشبيب . هو ذكر محاسن النساء . وشرح أحوالهن . والتشوق اليهن . والهجاء هو نفى المحاسن عن الرجل . وتعداد مساويه . ونقائص قبيلته استصغارا لأمرهم وتحقيرا لشأنهم . والرثاء . تعداد محاسن الميت . وذكر مناقبه . واظهار التفجع عليه واستعظام المصيبة فيه . والوصف . الابانة عن صور الاشياء واضحة جلية لاحضارها فى ذهن السامع بنماذجها الشيقة وأرديتها الطبيعية ، والاعتذار . نفى التهمة . والترفق

مميزات معانيه (١) وضوح معانيه ومطابقتها للواقع (٢) ندرة المبالغة بما يخرجها عن حد المعقول والمألوف (٣) عدم تنسيق الأفكار وترتيب المعانى بل يرسلونها حسبما استدعته بديهتهم وارتجالهم بدون مقدمات ولا تمهيد للانتقال من معنى لآخر (٤) ارسال المعانى حسب ظواهر المشاهد بلا اغراب فى انتزاعها ، ولا ابرازها فى صور الاستعارات الجميلة والكنايات الدقيقة

مميزات ألفاظه (١) دقة استعمال الألفاظ فى معانيها الوضعية (٢) القصد الى الأسلوب الذى يدخل المعانى الى النفوس بأقرب سبيل (٣) عدم استعمال المحسنات البديعية (٤) ضخامة الألفاظ وجزالتها (٥) قلة ايراد الالفاظ المجازية (٦) ايثار الايجاز الا اذا قضت الحال بالاسهاب (٧) عدم ايراد الألفاظ الأعجمية الا ما أتى به الأعشى تملحا وتظرفا

التعرف بالمعلقات وشعرائها

المعلقات — قصائد امتازت عن شعر عصرها : بطولها ، وتنوع أغراضها

فى الاحتجاج على البراءة منها . واستعطاف المعتذر اليه واستمالة قلبه . والحماسة : ذكر القتال . ومايتبعه من ضروب النزال . والكر . والفر . وحمى الدار . والجار . والادب هو الأقوال الحكيمة التى تؤثر فى النفوس فترد بها موارد الفضيلة . وتطفىء مابها من جذوة الغواية : فتسلك سواء السبيل

وكثرة مبتكراتها

وجه تسميتها — اختلف العلماء فى وجه تسمية تلك القصائد بالمعلقات:

ا — فقيل وجهه . أن العرب تخيرتها ، وكتبتها بماء الذهب على القباطى « ثياب من كتان تنسج بمصر » وعلقتها بأستار الكعبة . تعظيما لها ، وتنويها بشأنها (١)

ب — وقيل وجهه قول الملك (٢) عند اجتماع الشعراء بعكاظ ، وتناشدهم الأشعار ، واستحسانه قصيدة منها : علقوا لنا هذه ، وأثبتوها فى خزانتى (٣)

---

(١) هذا الرأى لصاحب العقد الفريد أحمد بن عبد ربه القرطبى : وتبعه صاحب العمدة أبو على الحسن بن رشيق القيروانى . وصاحب المقدمة عبد الرحمن بن خلدون

(٢) المرجح أنه النعمان بن المنذر فقد كان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول . ثم صار بتمامه أو ما بقى منه الى بنى مروان كما ذكره ابن سلام فى كتاب الطبقات (٣) صاحب هذا الرأى أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ — هجرية وقد أنكر القول الأول وقال لايعرفه أحد من الرواة وتبعه كثير من أدباء زماننا وبعض المستشرقين محتجين — ا — بأن من نقل تعليقها على الكعبة لم يذكر تفصيلا عن هذا التعليق : ولا عن الذين علقوها والذين أمروا بتعليقها — ب — بأنه حين هدمت الكعبة وجدد بناؤها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر عنها شىء — ج — بأن العرب يأنفون أن يدنسوا الكعبة (وهم مجمعون على احترامها) بمثل مجون امرىء القيس : وتعاهر طرفة . ويرون أن هذه التسمية مصنوعة فى عصر التدوين أو قبله بقليل ويرجح المرحوم حفنى بك ناصف : وبعض أساتذة الأدب بدار العلوم الآن : الرأى الأول — أولا — بأن العقل لايرى مانعا منه — ا — لأن قريشا حينما تآمروا على قطيعة بنى هاشم كتبوا بذلك صحيفة وعلقوها

ج — وقيل وجهه أنها علقت بأذهان صغارهم قبل كبارهم ، ومرءوسيهم قبل رؤسائهم . عناية بحفظها ، والاحتفاظ بها

د — وقيل وجهه . قولهم لدى سماعها : علقوها لتكتب

هـ — وقيل وجهه أن العرب كتبتها . على عاداتهم يوم ذاك : فى رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد موصولا بعضها ببعض ثم طويت على عود

بالكعبة ليحملوا أنفسهم على الوفاء بما فيها — ب — أن الرشيد أمر بعهده لولديه الأمين والمأمون — أن يعلق بالكعبة فعلق بأستارها ليزيده ذلك هيبة ونفاذا وثانيا بأن عبد الله بن عباس رضى الله عنه كانت له مجالس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فيها شعر عمر بن أبى ربيعة . وما كان له هذا . مع مكانه من صاحب الروضة : لولا أن استجادة العرب للشعر لاتتوقف على شرف معناه كما زعم المانعون لتعليقها

ولكنا نذهب مع القائلين ببطلان الرأى الأول : ونرى (ا) أن الفرق بين بين ما فى الصحيفة والعهد ، وبين المعلقات : فان ماتضمناه له مساس بشأن بارز من شؤونهم الاجتماعية تقضى داعية كل منهما بتمام العناية بهما وتعليقهما : وليست هذه القصائد بتلك المكانة لاسيما بعد أن نزلت مكانة الشعر بالكسب به (ب) قصيدة الأعشى التى زعموا تعليقها هى . على بعض الآراء . مدحته للنبى صلى الله عليه وسلم التى مطلعها : ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا — البيت وقد قالها بعد البعث فلو علقت لما خفى على الرواة أمرها (ج) ان سماع عبد الله بن عباس رضى الله عنه شعر ابن أبى ربيعة فى المسجد كسماعه صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب بن زهير فيه : وليس السماع فى المسجد كالتعليق بأستار الكعبة وعدا هذا فقد أثبت امام من أئمة الأدب العربى بمصر الآن (هو السيد مصطفى صادق الرافعى) أن خبر تعليق تلك القصائد بالكعبة مختلق : افتراه هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية وهو صاحب كتاب مثالب العرب والكتب الكثيرة فى الأنساب وأخبار الأوائل وهو و والده متهمان بالكذب وتعمد الزور

أو خشبة وعلقت فى جدار الرواق أو الخيمة بعيداً عن الأرض حرصاً عليها من قرض عث أو فأرة أو دابة من دواب الأرض

و — وقيل وجهه . أن حماداً سماها بذلك تشبيها لها بالقلائد بدليل أن من أسمائها السموط (القلائد) . وهذا ظاهر فى أن تسميتها بذلك من وضع حماد وليست قديمة [١]

وأقرب الأقوال : ثالثها ، وخامسها .

عددها وأصحابها — كذلك اختلف الرواة فى عدد هذه المعلقات . فأغلبهم على أنها سبع . وارباب هم :

١ — أبو الحارث حُنْدُج بن حُجْر الكِنْدِىّ الملقب بامرئ القَيس . ومطلع معلقته :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيب ومنزل بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ [٢]

٢ — عمرو بن العبد بن سفيان البكرى الملقب بطَرَفة . وأول طويلته :

لِخَولة أطلال ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوح كباقى الوَشْم فى ظاهر اليد [٣]

---

(١) هذا الرأى للمستشرق الألمانى (نولدكى) وشايعه عليه المستشرق الفرنسى (كلمان هوار) وهما ممن شايع أبا جعفر النحاس فى انكار الرأى الأول

حماد : هو أبو القاسم حماد الراوية ابن أبى ليلى الكوفى الديلمى : كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها ، وأخبارها ، وأنسابها وهو الذى جمع السبع الأولى من المعلقات توفى سنة ١٥٥ هجرية

(٢) سقط اللوى ، والدخول ، وحومل : أسماء مواضع (٣) خولة : امرأة من كلب ، وأطلال جمع طلل . وهو ماشخص من آثار الديار : وثهمد : اسم موضع : والبرقة

٣ — زُهَيْرُ بن أبى سُلْمَى ربيعة بن رياح الْمُزَنِىّ . وأول معلقته :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ (١)

٤ — عنترة بن عمرو بن شدّاد العبسىّ . وطويلته :

هل غَادَرَ الشعراء من مُتَرَدَّم أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّم (٢)

٥ — أبوالأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التَّغْلَبِىّ . وواحدته :

ألا هُبِّى بصحنك فاصبحينا ولا تُبقى خمور الأندرينا (٣)

٦ — أبوعقيل لَبيد بن ربيعة العامرىّ . ومعلقته :

عَفَت الدِّيارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا (٤)

٧ — الحارث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىّ البكرى . ومطلع معلقته :

كل رابية فيها رمل وطين أو حجارة وطين يختلطان . وتلوح . تلمع والوشم : النقش على اليد وغيرها بالنؤور (وهو دخان الفتيلة يحشى به الوشم حتى يخضر)

(١) أم أوفى . امرأة زهير . والدمنة : ماالسود من آثار الديار بالرماد والبعر والسرجين . وحومانة الدراج ، ماء بنجد على الطريق التى بين مكة والبصرة : والمتثلم . موضع قريب منه (٢) المتردم . المرقع من قولك ردمت الشىء اذا أصلحته وتردم الرجل ثوبه رقعه . وأم بمعنى بل . والتوهم التفرس (٣) هبى . قومى . والصحن . القدح العظيم . أصبحينا . اسقينا الصبوح وهو ماأصبح عند القوم من الشراب . والأندرين قرية بالشام كثيرة الخمور

(٤) عفت . درست وذهبت معالمها . والمحل حيث يحل القوم من الدار : والمقام ماطالت الاقامة فيه منها : ومنى موضع بنجد غير منى مكة . وتأبد . توحش . والغول ما انهبط من الأرض . والرجام الهضاب وقيل الغول والرجام موضعان وقيل جبلان

آذنتنا ببينها أسماءُ رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثّواء (١)

وبعض العلماء يعدها ثمانية ويزيد على هذه السبعة معلقة النابغة الذُّبيانى (٢) وقد اختلف فى تعيينها . فقيل هى التى مطلعها :

عُوجُوا فحيوا لُنْعمٍ دِمْنَة الدار ماذا تُحَيُّون من نُؤْىٍ وأحجار (٣)

وقيل هى التى أولها :

يادار مَيّة بالعلياء فالسَّنَد أقْوَتْ وطال عليها سالف الأمَد (٤)

وبعض الأدباء يعد المعلقات عشراً ويزيد على هذه الثمانية معلقتى . عَبيد بن الأبْرَص الأسدى ، وأبو بَصير مَيمُون بن قيس القيسىّ . الملقب بالأعشى . أما عَبيد فمطلع معلقته :

أقْفَرَ من أهله مَلحُوبُ فالقُطَبِيّاتُ فالذَّنُوبُ (٥)

---

(١) آذنتنا . أعلمتنا . والبين . الفراق . والثاوى . المقيم

(٢) هو أبو أمامة زياد بن معاوية . وبعض الأدباء يعدها ثمانية ويسقط من السبعة الأولى قصيدتى عنترة والحارث بن حلزة ويزيد معلقات النابغة والاعشى وعبيد وأبو زيد محمد بن الخطاب القرشى صاحب جمهرة أشعار العرب يعدها ثمانية باسقاط معلقة الحارث بن حلزة من هذه السبعة ويزيد معلقتى النابغة والاعشى

(٣) عوجوا . قفوا والدمنة تقدم معناها والنؤى . الحفير يحفر حول الخباء لمنع المطر

(٤) العلياء المرتفع من الأرض والسند ماقابلك من الجبل وعلا عن السفح . وأقوت خلت من أهلها . وسالف الأمد . ماضى الدهر

(٥) أقفر . خلا . وملحوب . اسم ماء لبنى أسد . والقطبيات جمع قطبية وهى اسم لماء وقيل اسم جبل . والذنوب اسم موضع

وأما معلقة الأعشى فقد اختلف فى تعيينها . فقيل هى مدحته للنبى صلى الله عليه وسلم وهى :

ألم تَغتَمض عيناك ليلة أرمَدَا وبِتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدا (١)

وقيل هى قصيدته التى مطلعها :

ما بُكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما تَرُدّ سؤالى (٢)

وقيل هى التى يقول فى أولها :

ودّع هُريرةَ إن الرَّكْب مُرتَحِلُ وهل تُطيق وَدَاعاً أيها الرجلُ

العصر الثانى — عصر صدر الاسلام

اللغة العربية فى هذا العهد

تجلى لك من القول فى تهذيب اللغات : أن لهجات العرب بعد تلك المحافل والمواسم قد تقاربت ، وأن لغتهم الأدبية قد امتزجت فى لغة قريش أو كادت ، وأن خطباء القبائل قد أخذوا منها ماخف على اللسان وحسن فى السمع — فلما أشرقت شمس الاسلام على جزيرتهم ، وأنزل القرآن الكريم بلسانهم ، وجاءهم الرسول الأمين بشريعة تمثلت فى كلام الله وكلام رسوله . حدثت فى اللغة العربية وآدابها آثار اقتضتها حياتهم الجديدة

(١) رجل أرمد . به رمد وقذى فى عينيه . والسليم الملدوغ وسمى بذلك تفاؤلا والمسهد الذى لا ينام (٢) الاطلال تقدم معناها . يلوم نفسه على أن يبكى بالأطلال وهو كهل ، وأن يسألها وهى لا ترد

ودعا اليهاانتقالهم من الجاهلية والهمجية الى الدين والمدنية . وتجمل تلك الآثار فيما يلى :—

(١) اندماج لهجات العرب وتكوين مجموعها فى لغة قريش فأصبحت بعد قليل من الزمن لسان الجميع وبها نزل القرآن متخيراً من كل لهجة أفصح ألفاظها ، آخذا من كل لغة أعذب عباراتها

(٢) انتشار اللغة فى أكثر الممالك التى سرت فيها روح الاسلام فكثر عدد الناطقين بها وتغلبت على كثير من لغات الأمم التى دخلت فى دين الله اذ كانت لغة الفاتح ولسان ذلك الدين

(٣) اتساع أغراضها ، فبعد أن كانت لاتعدو الحياة البدوية أصبحت خاضعة للتعبير عن العقائد الدينية ، والأحكام العامة الملائمة لحسن المعيشة كفيلة بالابانة عن مقتضيات العمران والمدنية . وافية بنظم الملك التى استدعاها الفتح والانتشار

(٤) تخير العبارات والأساليب . وذلك بتهذيب ألفاظها . محاكاة لألفاظ القرآن والسنة ، وبالتوسع فى دلالتها ، وبهجر كثير من الألفاظ التى منع الشارع استعمالها أو كره النطق بها [١] واحداث ألفاظ

---

(١) كقولهم فى التحية (عم صباحا أو مساء أو ظلاما) وكقولهم فى تحية الملك (أبيت اللعن) وكقول المملوك لمالكه (ربى) وكلفظ (المرباع) لربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية وكلفظ (النشيطة) لما كانوا يغنمونه عفوا فى

لم تكن [1] قياما بحاجات الدين ، والعلم ، ومقتضيات الملك

(٥) ارتقاء المعانى واتساعها : باتساع مادتها ، وحسن ترتيبها ، ولطف الخيال ، وتنوع صوره : بما اقتبسوه من الكتاب ، ومواعظ الرسول ، وما شاهدوه من حضارة الأمم التى اختلطوا بها

القرآن الكريم وأثره فى اللغة

القرآن — هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبَّد بتلاوته المتحدَّى بأقصر سورة منه . أنزله الله هداية للبشر ورحمة للعالمين جمع قواعد العمران الثابتة ، وسنن الاجتماع المحكمة . ملىء آيات بينات ودلائل ناصعات ، وشرائع رائقة وآداباً راقية فهو آية الله الباقية الدائمة ، وحجته القائمة الخالدة . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

إعجازه — أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم أمراء الكلام ، وفحول

طريقهم الى الغارة وكلفظ (الفضول) لما يفضل من الغنيمة مما لا يمكن قسمته وكلفظ (الحلوان) لما يعطى للكاهن وللمرأة على متعتها وكقولهم (خبثت نفسى) فقد كرهها الشارع لمشابهته لاسم الخبث

(١) كلفظ المسلم . والمؤمن . والكافر . والفاسق . والصلاة . والصيام . والحج . والزكاة والجوائز . وسائر الألفاظ الدينية — وكلفظ الفاعل . والمفعول . والظرف . والتعريف والتنكير . والرفع . والنصب وسائر مصطلحات النحو التى لم تكن العرب تعرف شيئاً منها

البلاغة : بلغتهم التى بها يتخاطبون ، وبفصاحتها يتفاخرون . فبهرهم بيانه، وأذهلهم افتنانه . عباراته العاليـة ، وأساليبه السامية . أقعدت خطباءهم ، وحيرت بلغاءهم . نخرست ألسنتهم ، وخضعوا لمبلغ براعته ، وسجدوا لمنتهى بلاغته ، وأيقنوا أنه فوق طاقتهم ، وأنه ليس فى مقدور أحد منهم أن يأتى بأقصر سورة منه ، فانقطعوا عن مناظرته ، وابتعدوا عن مقاومته وآمنوا بأنه : كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ :

نزوله وجمعه — نزل القرآن الكريم مُنَجَّما على حسب الوقائع . خمس آيات ، وعشر آيات ، وأقل وأكثر : فى نحو اثنتين وعشرين سنة كان يكتب خلالها بين يدى رسول الله على ما اتفق لهم من العُسُب وقطع الأديم ، واللِّخاف ، وعظام الأكتاف ، والكرانيف[1] حتى توفى صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب وفى صدور الصحابة محفوظ الى أن قتل فى واقعة اليمامة كثير من الحفاظ زمن خلافة أبى بكر رضى الله عنه . فهال ذلك سيدنا عمر ، وخشى أن يضيع القرآن فأقنع أبا بكر بوجوب كتابته فى مصحف واحد . فعهد بذلك الى أكبر كتاب الوحى زيد بن ثابت رضى الله عنه فكتبه فى صحف بقيت لدى أبى بكر مدة حياته ثم عند عمر حتى توفى ثم عند ابنته السيدة حفصة الى أن انتشر القراء

(١) العسب : السعف الذى لم ينبت عليه الخوص من الجريدة ، والأديم : الجلد واللخاف : حجارة بيض رقاق ، والكرانيف : أصول السعف التى تبقى على جذوع النخلة

فى الجهات التى عمها الاسلام . مدة خلافة عثمان رضى الله عنه . وقرأوا بلهجاتهم (وكانت على شىء من الاختلاف فى أحرف القرآن) ولما خاف سيدنا عثمان من تفاقم الأمر باختلافهم . لأنه يؤدى الى الاختلاف فى الدلالة، والى التصرف فى الألفاظ — أمر أربعة [١] من الصحابة بنسخ الصحف فى المصاحف [٢] أبقى لديه واحداً وأرسل الباقى الى الجهات

أثره فى اللغة — نزل القرآن بلغة قريش فجمع العرب عليها، وصانها من التبديل، ونشرها فى كافة الأقاليم ، وزاد فى ثروتها : بكثرة مادتها، واتساع أغراضها ، وانسجام أساليبها : بألفاظه العذبة التى امتلكت الأسماع، ومعانيه الجزلة . التى أخذت بمجامع القلوب ، وآدابه الفاخرة التى ألانت الطباع . وأحدث لدى أهلها من ملكة البلاغة فى انتقاء المعانى وتخير الألفاظ ما غير ملكتهم الأولى ، وحول ألسنتهم من الوحشية فعذبت ألفاظهم ، ورقت أساليبهم ، وكثر اختيارهم للمعانى المؤثرة، وصاروا ينسجون على منواله ، ويحسنون كلامهم بذكر آيه . وأعانهم على التفنن فى الوعظ الخطابى، والتوسع فى الكتابة : بما تتطلبه حاجة العمران ، وتستدعيه سعة الملك وقوة السلطان على الشعوب . فصان اللغة عن كل ما يشوه خَلقها ، وأفاض عليها من ماء الحياة : ما انتعش به فؤادها ، ودب به الرقى فى

(١) هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٢) المشهور أنها خمسة وأن الأربعة أرسلوا الى مكة والشام والبصرة والكوفة

جسمها . فأصبحت به اللغـة الخالدة ، وأضحت لغة الملايين من العلوم المختلفة ، والفنون المتباينة ، والمؤلفات المتنوعة

السنة واثرها فى اللغة

السنة — هى أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته . صدرت منه هداية للخلق ، يستمدون منها رشادهم ، ويهتدون بها فى مناحى حياتهم

جمعها والعناية بها — حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم فنشطوا لتعليقه وضبطه وتصحيح أسانيـده واستنباط أحكامه وعُنوا بتدوينه عناية لم يقع مثلها

أثرها فى اللغة — صدر كلامه صلى الله عليه وسلم فَيْض البديهة ، منزهاً عن اللغو ، بريئاً من الباطل . أجراه فى دعوة الى حق ، وتوضيح قرآن ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر : بأسلوب جمع صنوف الحكم وجوامع الكلم وضروب الآداب . حوى من لطف التعبير وحسن التشبيه : ماحمل البلغاء على انتهاج مناهجه ، واستنان سبله . فاقتبسوا منه مانمت به لغتهم ، وحسنت ديباجتها . وما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ايجاز القول ورقة الديباجة ، وطلاوة العبارة . وحسن الرونق . وفصاحة اللسان وساطع البرهان . وسحر البيان . وسلاسة المقاطع . وعذوبة الفواصل : هـداهم إلى مناحى الكلام . ودعاهم إلى التفنن فى الأساليب . واقتفاء أثره فى التراكيب

الخـــطابة

كان ظهور الاسلام من أهم الحوادث التى أثارت الخطابة من مكمنها وأغرت العقول بالافتنان فيها حتى غدت شعار كل امام فى كل حفل وناد فاعتلت أسمى طبقات الفصاحة ، واتسع القوم فى أساليب البلاغة وازدادوا فى مذاهب البيان تبسطاً وافتنانا ، وازدهت عما كانت عليه فى العصر الأول رونقاً وجمالا

أسباب رقيها (١) أنهم كانوا يخطبون عرباً مثلهم للفصاحة ارتياح فى نفوسهم وروعة فى أفئدتهم (٢) أن الشرع الشريف صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لا يقوم بأعباء الخطابة لا سيما الدينية (٣) خلوها عن قيود الوزن ونظم القافية (٤) فهم الخاص والعام لعباراتها ، وتذوق الكبير والصغير لأساليبها

فضلا عما كان للخطابة فى القرآن الكريم والسنة المحمدية : من المعين الذى لا ينضُب ، والمدد الذى لا ينفَد . حتى غدت سلسة القياد . لم يُتعمد فيها ضرب من ضروب الصنعة الكلامية . بل صدرت عن شعور حى ووجدان صادق . فنفذت الى سويداء القلوب ، وأصابت مواقع الوجدان

مميزاتها (١) اتباعها سبيلا دينياً فى الارشاد والتعليم (٢) سلوكها طريقاً سياسياً فى تأليف الأحزاب وتأسيس الملك (٣) قوة تأثيرها

وامتلاكها الوجدان والشعور (٤) صفاء ألفاظها ومتانة أساليبها (٥) بدؤها بحمد الله والثناء عليه (٦) محاكاتها أسلوب القرآن فى الاقناع، واشتمالها على كثير من آيه (٧) تنوعها بين الايجاز والاطناب

الخطباء — لم يفارق خطباء هذا العصر ما ألفه خطباء الجاهلية فى خطاباتهم: من الاشارة باحدى جوارحهم أو بما فى يدهم، ومسك العصا والخطبة من قيام — وامام الخطباء ورئيسهم فى هذا العصر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. وأشهرهم الخلفاء الراشدون وسحبان وائل

نبذة من خطبه صلى الله عليه وسلم (١) حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو: إنى لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ولتُبعثن كما تستيقظون، ولتُحاسبن بما تعملون، ولتُجزون بالاحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً، وانكم لأول من أُنذر بين يدى عذاب شديد

(٢) قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس. ان لكم مَعالِمَ[1] فانتهوا إلى معالمكم، وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم. إن المؤمن بين مَخافتين. بين أجل قد مضى ما يدرى ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه

(١) المعلم: الأثر يستدل به على الطريق، والمراد الشريعة المطهرة

لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبَر ، ومن الحياة قبل الموت . والذى نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب [1] ، وما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار

سيدنا ابو بكر رضى الله عنه

نسبه ومولده — هو الصديق أبو بكر عبد الله بن أبى قُحافة عثمان بن عامر القرشى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب . ولد بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر

نشأته وحياته — شب على مكارم الأخلاق ، ورقيق الشيم . وحسن السيرة . فكان لهذا ولمكانته فى قريش محترماً ، مرعى الجانب . كان رضى الله عنه أرجح قريش حلما ، وأشدهم عفة ، وأعلمهم بالأنساب وأيام العرب . حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية . أول من أسلم من الرجال ، وأول من جاهد مع رسول الله ، وكان أحب الناس اليه وأعز رفيق لديه جاهد معه فى كل وقائعه ووقف دونه فى وجوه أعدائه . كان يتاجر بأربعين ألف درهم أنفق معظمها فى مساعدة الرسول وأصحابه ، وما زال معه حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى فأسندت اليه الخلافة . فقام بها حق القيام . وجمع العرب على الاسلام ولم يمت رضى

(١) الاسترضاء يقال استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى

الله عنه سنة ١٣ هـ الا وجنوده ترفع راية الاسلام على مدائن كسرى وبلاد الشام

منزلته فى الخطابة — كان رضى الله عنه خطيباً . حاضر البديهة . مؤيداً بالتوفيق . مُسَخَّرا له الخطاب . مُذَلَّلا له القول مُمَهَّدا له الصواب . كثير التذكير بالله والتخويف منه . بالغ الحجة . قوى التأثير . يشهد لهذا خطبته يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم التى أسكنت ثورة النفوس ، واجرت الحكمة والروية فى مجراهما ، وخطبته يوم السقيفة التى قضى بها على العصبية وجمع كلمة المسلمين

نبذة من خطبه رضى الله عنه (١) قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد فانى قد وليت أمركم واست بخيركم . فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى . أطيعونى ما أطعت الله فيكم . فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم . ألا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

(٢) خطبته وقد جاءه مال من البحرين ساوى فيه بين الناس فغضب الأنصار

قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله . يامعشر الأنصار ان شئتم أن تقولوا انا آوينا كم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا . لقلتم . وان لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وان

طال به الأمد . فنحن وأنتم كما قال «طُفَيل الغَنَوىّ»

جزى الله عنا جعفرًا حين أزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الواطئين فزَلَّت

أبَوْا أن يملُّونا ولو أن أمَّنا ... تُلاقى الذى يلقَون منا لملَّت

هُمُ أسكنونا فى ظلال بيوتهم ... ظلالِ بيوت أدفأتْ وأظَلَّت

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

نسبه وحياته — هو الفاروق أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نُفَيْل بن عبد العزى . رعى الغنم لأبيه فى صغره ، واتجر فى كبره . وكان فى الجاهلية من صناديد قريش ، وكانت له الزعامة فيها ، والسفارة فى الحروب بين قبائلها ، وكان أشدها عداوة للاسلام . ولما أسلم أعز الله به الاسلام وأحسن الصحبة برسول الله ، وبذل مهجته فى نصرته وحضر معه الغزوات كلها ، وأعان أبا بكر على توليته الخلافة ، وآزره على مهامّها . تولى الخلافة بعهد من أبى بكر رضى الله عنه فقام بها قياماً لا يجاريه فيه أحد من قادة الأمم ، وساسة الدول ، وأتم جميع ماشرع فيه أبو بكر من الفتوح ونهض بشئون الادارة على أصول الدول الراقية يؤمئذ . فكان أول من مصَّر الأمصار ، وأول من دوّن الدواوين ، وأول من وضع الخراج والتاريخ العربى ، وأول من اتخذ ديوان الجيش . وكان رضى الله عنه أزهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وأشدهم فى دين الله . شهد له

النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

منزلته فى الخطابة — كان رضى الله عنه كأبى بكر : فى قوة البيان ، وشدة التأثير ، وبلوغ الحجة . خطب فى الناس ، وفى الجيش وفى القضاء : بكلام واضح المنهج . سهل المخرج ، مطرد السياق . متفق القرائن ، وبأبْيَن منطق وأبلغ عبارة مصوغة من درر الفصاحة ، وجواهر البلاغة . أروى الخلفاء للشعر ، وأنقدهم له . قتله أبو لؤلؤة (غلام المغيرة بن شعبة) وعمره ٦٣ سنة

نبذة من خطبه رضى الله عنه (١) إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَم [١] وأجَل مُنتَقِض [٢] و بلاغ الى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج [٣] فرحم الله امرأ فكر فى أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه بئس الجار الغنىّ . يأخذك بما لا يعطيك من نفسه . فان أبيت لم يَعذرك . إياكم والبِطْنَة . فانها مَكْسلة عن الصلاة ، ومَفسدة للجسم ، ومُؤَدِّية إلى السقم ، وعليكم بالقصد [٤] فى قوتكم . فهو أبعد من السَرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، وان العبد لن يَهلك حتى يُؤثر شهوته على دينه

(٢) أيها الناس . ما الجَزَع مما لابُد منه ، والطمع فيما لا يُرجى ، وما الحيلة فيما سيزول ، وإنما الشىء من أصله ، وقد مضت قبلنا أصول ونحن فروعها . فما بقاء الفرع بعد أصله . إنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تَنْتَضِل [٥] المنايا فيهم ، وهم نُصُب المصائب ، مع كل جرعة شَرَق ، وفى

(١) مقتطع (٢) غير مبرم (٣) اقامة (٤) التوسط (٥) تبارى

كل أكلة غَصَص . لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل مُعَمَّر من عمره شيئا إلا بهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الحُتُوف [1] على أنفسكم . فأين المَهْرَب مما هو كائن . وإنما ينقلب الهارب فى قدرة الطالب . فما أصغر المصيبة اليوم . مع عظم الفائدة غدا

سيدنا عثمان رضى الله عنه

نسبه ومولده — هو أمير المؤمنين ذو النُّورين عثمان بن عفان القرشى الأموى . ولد فى السنة السادسة بعد الفيل .

حياته — أسلم رضى الله عنه بدعوة أبى بكر وحسن بلاؤه فى الاسلام كان وجيها غنيا ، يتاجر فى الثياب برأس مال كثير أنفق جله فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم و تأييد الاسلام . صحب النبى وشهد معه الغزوات كلها إلا بدراً وكان أول المهاجرين اليه . حباه الرسول كرامة المصاهرة بابنتيه تكريما له — تولى الخلافة بأغلبية الشورى سنة ٢٣ هـ فأتم فتوحات عمر رضى الله عنه ، وعُنى بتحسين نظام الحكم ، واتخذ صاحب شرطة ، وداراً للقضاء . أول من أمر بنقل القرآن من الصحف وكتابته فى المصاحف ، وكان رضى الله عنه تقيا . ورعاً . ذا تواضع . حليما سخيا . كثير الحياء . نقم عليه بعض المسلمين إيثاره بعض أقربائه بولاية

(١) المهالك

الأمصار فحصروه فى داره وقتلوه بها سنة ٣٥ هـ وهو يتلو القرآن

منزلته فى الخطابة — كان من أبلغ الخطباء ميالا إلى الايجاز، وسلاسة الأسلوب، وجزالة العبارة يُؤاتيه الكلام و يتابعه

نبذة من خطبه رضى الله عنه — (١) خطبته بعد أن بويع بالخلافة وهى بعد الحمد والثناء — أما بعد فانى حُمِّلْت وقد قبلت. ألا و إنى مُتَّبَع ولست بمُبْتَدِع. ألا وان لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ثلاثا: اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسنتم، وسَنّ سُنة أهل الخير فيما لم تَسنوا عن مَلاء، والكف إلا فيما استوجبتم. ألا و إن الدنيا خضرة قد شُهِّيَت الى الناس ومال اليها كثير منهم. فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها. فانها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها

(٢) خطبته رضى الله عنه لما نقم عليه — إن لكل شىء آفة، و إن لكل نعمة عاهة، و إن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة. عيَّابون. ظنّانون. يظهرون لكم ما تحبون، و يسرون ما يكرهون، و يقولون لكم وتقولون. طَغام مثل النعام. يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم النازح. لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم على، ولكن وقمكم وزجركم زجر النعام المُخْزَمَة. والله إنى لأقرب ناصرا وأعز نفرا، وأقْمَن إن قلت هَلُمَّ أن تُجاب دعوتى من عمر. هل تفقدون من حقوقكم شيئا. فمالى لا أفعل فى الحق ما أشاء. إذاً فلم كنتُ إماما

سيدنا على رضى الله عنه

نسبه ومولده — هو أمير المؤمنين أبو الحسين على بن أبى طالب بن عبد المطلب . ولد قبل الهجرة باحدى وعشرين سنة

حياته — أول مَن آمن من الصبيان بالرسول صلى الله عليه وسلم . وحضر معه الغزوات كلها إلا تبوك ، و بذل مهجته فى صيانته ، وأبلى مالم يُبله أحد فى نصرته . وكان رضى الله عنه أكثر الصحابة علما ، و زهدا وشدة فى الحق و كان قائدا مُدرَّبا ، وفارسا باسلا بايعه بالخلافة أهل الحجاز بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما وامتنع عنها معاوية وأهل الشام غضبا لمقتل عثمان ، وقعوده عن القتلة فى زعمهم . فنجمت عن ذلك الفتنة بين المسلمين وافترقوا فرقتين تحاربتا ردحا من الزمن لم يتم فيه الأمر لعلى ولا لمعاوية حتى ضربه عبد الرحمن بن مُلجم المرادى فى مسجد الكوفة قبيل الفجر فلم يمكث رضى الله عنه إلا أياما قلائل وتوفى سنة ٤٠ هـ

منزلته فى الخطابة — كان رضى الله عنه أفصح الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتفجر حكما ، ويتدفق بيانا . لا يُطاول لسانه ، ولا يُدرك غَوره . يستميل القلوب النافرة ، ويرد الأبصار الطامحة — جمع الشريف الرضى ما أثر عنه من خطب ورسائل ومواعظ فى كتاب سماه . نهج البلاغة . طبع مرارا ، وتعاقب العلماء على شرحه غير أن فيه مايريب البصير فى صحة صدوره منه رضى الله عنه

نبذة من خطبه رضى الله عنه (١) خطبته بعد التحكيم وهى :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخَطب الفادح [١] ، والحادث الْجَلَل [٢] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله . أما بعد فان مَعصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحَيْرة ، وتُعْقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى أمر هذه الحكومة [٣] أمرى ، ونخلتُ [٤] لكم مَخزون رأيى ، لو كان يُطاع لقصير أمر [٥] ، فأبيتم علَىَّ إباء المخالفين الْجُفاة ، والمنابذين العُصاة . حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضَنّ الزَّنْد [٦] بقَدْحه . فكنت وإياكم كما قال أخو هَوازن [٧]

أمرتُهم أمرى بِمُنعَرِج اللِّوى فلم يَستَبينُوا النصح إلّا ضُحَى الغَد

(٢) خطبته لما خاطبه العباس وأبو سفيان فى أن يبايعا له بالخلافة :

ايها الناس شُقُّوا أمواج الفتَن بسُفُن النجاة ، وعَرّجوا عن طريق المنافرة وضَعوا عن تِيجَان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح [٨] ، أو استسلم فأراح

(١) من فدحه الدين أثقله (٢) العظيم (٣) أى حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى (٤) نخل الدقيق غربله والمراد أنه أخلص لهم فى النصح (٥) هو مولى جذيمة الأبرش وكان أشار على سيده أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه بها فقتلته . فقال قصير (لا يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلا (٦) الزند العود الأعلى الذى يقتدح به النار (٧) هو دريد بن الصمة (٨) أى بمساعد ومعين

هذا ماء آجن [١] ، ولقمة يَغَصُّ بها آكلها ، ومُجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه ، فان أقُل . يقولوا حَرَص على المُلك ، وإن أسكت يقولوا جَزِع من الموت ، هيهات بعد اللَّتيَا [٢] والتى ، والله لَابن أبى طالب آنَسُ بالموت من الطفل بثدى أمه ، بل اندَمَجْت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرْشِيَةَ [٣] فى الطَّوِىّ [٤] البعيدة

سحبان وائل

هو سحبان بن زُفَر بن إياد الوائلى — نشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة — ولما ظهر الاسلام أسلم . ثم تقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه فكان يعده للملمات ، ويتوكأ عليه لدى المفاخرة لذلاقة لسانه وحدة خاطره

منزلته فى الخطابة — كان ثَبْت البديهة . شديد الاتساع . مضروبا به المثل فى الفصاحة والبلاغة والخطابة . مُحَدثاً بما فى نفسك . قوى العارضة لايعيد فى خطابه ، ولا يتلعثَم ، ولا يتوقف ، ولا يفكر . تتدفق البلاغة على لسانه كما يتدفق السيل . وكان رحمه الله إذا خطب يسيل عَرَقا ولا يقعد حتى يفرغ — وقد وصف نفسه بقوله

لقد علم الحى اليمانون أننى إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

---

(١) متغير الطعم واللون (٢) يضرب مثلا لمن خاض الشدائد صغيرها وكبيرها
(٣) جمع رشاء وهو الحبل (٤) البئر المطوية بالحجارة أى المبنية بها

خطب بحضرة معاوية رضى الله عنهما . من صلاة الظهر حتى صلاة العصر . ما تنحنح ، ولا سَعَل ، ولا تَوَقَّف ، ولا تلكَّأ ، ولا ابتدأ فى معنى وخرج منه وقد بقى فيه شىء . فما زالت تلك حاله حتى دَهَش منه الحاضرون . فأشار اليه معاوية بيده . فأشار اليه سحبان لا تقطع علىّ كلامى . فقال معاوية : الصلاة . قال هى أمامك . نحن فى صلاة ، وتحميد وتسبيح ، ووعد ، ووعيد . فقال معاوية : أنت أخطب العرب . فقال سحبان والعجم والجن والانس — ومن خطبة له فى الوعظ

أما بعد . فان الدنيا دارُ بَلاغ ، والآخرة دارُ قرار ، أيها الناس فخذوا من ممركم لدار مَقَرّكُمْ ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخْرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خُلقْتُمْ ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ، ان الرجل اذا هلك ، قال الناس ماترك ، وقالت الملائكة ماقدَّم ، قدموا بعضاً ليكون لكم قَرْضًا ، ولا تتركوا كُلًّا . يكون عليكم كَلًّا

الرسائل

مست الحاجة إلى كتابة الرسائل منذ ظهور الاسلام . فكان النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وأصحابه رضوان الله عليهم يُمْلُون كتبهم على كتابهم بعباراتهم وبعضهم يكتبها بيده . وقد فشت الكتابة ، وكثر عدد الكتاب فى عهده صلى الله عليه وسلم للداعية إلى تقييد ما يلقيه على

الصحابة من الدين ، وإلى كتابة الرسائل التى كان ينفذها إلى الأمراء والملوك أغراضها — وقد كان انتشار الاسلام ، وكثرة المغازى ، واتساع الفتوحات على عهد الخلفاء أكبر داع إلى تنوع أغراضها ، واختلاف مراميها

فكانت رسائله عليه الصلاة والسلام يوجهها إلى الأمراء والقبائل . يدعوهم إلى الاسلام ، ويبلغهم رسالة ربه . مبينا لهم العهود وبعض الأحكام .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يبعث برسائله إلى الذين ارتدوا فى ابتداء خلافته يدعوهم إلى الرجوع إليه

وكانت رسائل عمر رضى الله عنه موجهة إلى قواد الجيوش ، وولاة الأمصار يأمرهم بما ينبغى لهم أن يعملوا به ، ويوضح لهم طرق المعاملة لأهل البلاد التى فتحت على أيديهم

وكانت رسائل عثمان رضى الله عنه توجه إلى الولاة وأهل الأقاليم ينصحهم ويهديهم إلا ما كان منها أيام نقمته

أما رسائل على رضى الله عنه فقد وسعت ما دعا إليه حال المسلمين فى عهده . فتارة يبعث بها إلى أمراء جيوشه . ومرة يدعو بها معاوية ، ويحمله تبعة من ناصره ، وطورا ينصح بها عماله فى الجهات

أسلوبها — وكانت رسائل هذا العهد . واضحة العبارة . سلسة التركيب . بعيدة عن السجع المتكلف . خالية من الصنعة الكلامية . محاكية

أسلوب القرآن الكريم . مشتملة على كثير من الآيات وأبيات الشعر

مميزاتها — (١) الوقوف عند الغرض بلا مبالغة ولا تهويل (٢) استعمال الألفاظ الجزلة والعبارات السلسة (٣) مراعاة حال المكتوب إليه . فتارة تكون موجزة سهلة إذا كانت لغير العرب ، وتارة تكون عالية العبارة متينة الأسلوب إذا وجهت للعرب الخلص (٤) غلبة الايجاز إلا إذا استدعى الحال الاسهاب (٥) تجنب الحُوشى البدوى من اللفظ إلا يسيراً جوابا لمن يخاطبهم بمثله (٦) قلة التفنن فى أنواع البدء والختام (٧) خلوها من ألقاب التعظيم والتفخيم .

سبيلهم فى بدئها وختامها — كانت عادة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكتب فى صدر كتبه بعد البسملة : من محمد رسول الله إلى فلان . أو : هذا كتاب من محمد رسول الله . ويلى ذلك : سلام عليك . أو : سلام على من اتبع الهدى ونحوها . ثم يقول : أما بعد فانى أحمد الله إليك . أو : فانى أحمد الله إليك أما بعد . وكان يختمها فى الأكثر : بالسلام عليكم ورحمة الله إن كان المرسل اليه مسلماً ، أو السلام على من اتبع الهدى

ونهج خلفاؤه رضى الله عنهم منهجه : فى بدء كتبهم واختتامها

نبذة من رسائله صلى الله عليه وسلم

(١) رسالته صلى الله عليه وسلم الى كسرى

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع

الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله. فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. اسلم تسلم. فان توليت فان اثم المجوس عليك

(٢) رسالته صلى الله عليه وسلم الى المقوقس صاحب مصر

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد. فانى أدعوك بدعاية الاسلام. فاسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فان توليت فعليك اثم القبط. يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

نبذة من رسائل أبى بكر رضى الله عنه

(١) من رسالته الى علىّ على لسان أبى عُبَيدَة رضى الله عنهم

وبعد، فالناس ثُمامَة [١] فارفُق بهم، واحْنُ عليهم، ولِنْ لَهُمْ، ولا تُشْقِ نفسَك بنا خاصة فيهم، واترك ناجِمَ الحقد حَصيداً [٢]، وطائرَ الشر واقعاً، وباب الفتنة مُغْلَقًا. فلا قال ولا قيل، ولا لَوْمَ ولا تَبِيع، والله على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير

(٢) عهده بالخلافة الى سيدنا عمر رضى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله

(١) واحدة الثمام كغراب. وهو نبت ضعيف (٢) الزرع المحصود

صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحالة التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر . انى استعملتُ عليكم عمر بن الخطاب. فان برَّ وعَدَل فذلك علمى به ورأيى فيه ، وان جار وبدَّل فلا علم لى بالغيب . والخيرَ أردتُ ولكل امرىء ما اكتسب (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)

نبذة من رسائل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(١) رسالته لعامله معاوية بن أبى سفيان ينصحه

أما بعد فانى لم آلك فى كتابى اليك ونفسى خيراً ، إياك والاحتجاب دون الناس ، وائذن للضعيف وأدنِه حتى تبسط لسانه وتجرىء قلبه . وتعهد الغريب . فانه اذا طال حبسه وضاق إذنه . ترك حقّه وضعف قلبُه . وانما أتْوَى [1] حقه مَن حبسه . واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء ، واذا حضرك الخصمان بالبينة العادلة ، والأيمان القاطعة فأمض الحكم

(٢) رسالته لعامله بالبصرة ينصحه

أما بعد فقد أصبحت أميرا . تقول فيسمع لك . وتأمر فينفذ أمرك فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغك على من دونك . فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة . واياك أن تسقط سقطة لاشَوَى [2]

(١) أهلك (٢) أى لا برء لها

لها وتعثر عثرة لَالَعًا [١] لها

نبذة من رسائل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

(١) رسالته الى سيدنا على رضى الله عنه يستنجده لما اشتد عليه الحصار

أما بعد فقد بلغ السيل الزُّبَى [٢] وجاوز الحزام الطُّبْيَيْن [٣] وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه ، ولم يغلبك مثل مُغَلَّب . فأقْبِلْ إلَىَّ صديقًا كنت أو عدوًّا فان كنتُ مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركنى ولَمَّا أُمَزَّق

(٢) رسالته الى أم سلمة وقد كلمته فى أعدائه

يا أمنا ان هؤلاء النَّفَر رَعاع غَبَرة [٤] تطأطأت لهم تطأطؤ المائح [٥] للدلاء وتَلَدَّدت [٦] لهم تلدد المضطر . فأراهُمُنى الباطل شيطانا . وأرانيهم الحق إخوانا . فتفرقوا عَلَىَّ فرقا ثلاثا . صامت صمته أنفذ من صول غيره . وساع أعطانى شاهده ومنعنى غائبه . ومَرِين [٧] على قلبه قد عمى عليه معرفة الحق . فأنا منهم بين ألْسِنَة لداد [٨] . وقلوب سداد [٩] وسيوف حداد . عَذِيرى الله ألَّا ينهى منهم حليم سفيهًا ، وعالم جاهلًا . والله حسبى وحسبهم يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون

---

(١) أى لا يقيمك الله منها ولا تنتعش (٢) هى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها الماء (٣) واحدها الطبى وهى حلمات الضرع — وهذا كناية عن المبالغة فى تجاوز حد الشر والأذى لأن الحزام اذا انتهى الى الطبيين فقد انتهى الى أبعد غاية فكيف اذا جاوزه (٤) سفلة الناس (٥) المائح المخرج للماء من البئر بالدلو (٦) تولدت (٧) الرين الطبع والدنس ، وران عليه: غلب (٨) شداد فى الخصومة (٩) مسدودة

نبذة من رسائل سيدنا على كرم الله وجهه

(١) من رسالته رضى الله عنه الى بعض عماله

أمابعد . فانك ممن أستظهر به على إقامة الدين . وأقمع [١] به نَجْوة [٢] الاثيم، وأسدبه لهَاة [٣] الثغر المَخُوف ، فاستعن بالله على ما أهمك . واخلط الشدة بضغْث [٤] من اللين ، وارفق ما كان الرفق أرفق ، واعتزم بالشدة حين لايغنى عنك إلا الشدة ، واخفض للرعية جناحك ، وألِن لهم جانبك ، وآس بينهم فى اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لايطمع العظماء فى حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام

(٢) رسالته رضى الله عنه الى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة

أمابعد فان المرء يُسَر بدَرْك ما لم يكن ليحرمه ، ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق . وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك ، وانظر مافاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا ، وما نلته فلا تنعم به فرحا ، وليكن همك لما بعد الموت

الشعر

فترت قرائح العرب إثر ظهور الاسلام عن نظم الشعر ، وانصرفوا

---

(١) أقهر وأذل (٢) النجوة : ماارتفع من الأرض و يقال انك بنجوة من الأمر اذا كنت بعيدا عنه سالما . يريد أقهر به الأثيم الذى يظن سلامته وبعده عن طائلة العقاب (٣) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . أو هى مابين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم (٤) أى بنوع

عن التلهى به ، وكلت هممهم عن التنافس فيه ، وشُغل المشركون منهم بالذب عن حياضهم ، ومقاومة المسلمين ، وتحولت أفكار المؤمنين عن أكثر فنونه التى نأت عن سنن الهداية — للاسباب التالية ،

(١) ما شغلهم من أمر الوحى ، والسفر للجهاد ، وفتح البلاد

(٢) نشوتهم بأسلوب القرآن الذى تضاءل بجانبه قدر الشعر ، وسقطت منزلته من نفوسهم لأنهم لم يجدوا فيه بعد القرآن سحر البيان الذى ثَملوا به

(٣) أن أغلب أغراض الشعر كانت مَشوبة بالكذب والمغالاة بما لا يتفق مع تعاليم الدين . كالمدح الباطل ، والاستجداء ، والهجاء ، والتشبيب بالغوانى ، والمفاخرة : بالأنساب ، وإزهاق النفوس ، وانتهاب الأموال ، وأمثال ذلك مما أزرى به القرآن الكريم قال تعالى : وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا

(٤) أن الاسلام شغل القلوب بمولاها ، وصرف الهمم عن كثير من لذائذ الدنيا . ولا يجيد الشعر الا فارغ البال . فلذا ترفعوا عن قرضه الا قليلا ، وانصرفوا الى التفانى فى حفظ القرآن ورواية الأحاديث

(٥) أن كثيرا من الشعر مبعثه المنازعة ، والمنافسة بين القبائل والاسلام قد ألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخوانا . فضعفت حاجتهم إليه ، ورغبت عنه نفوسهم

غير أن ذلك كله لم يكن لينزع ملكته من نفوسهم ويجتث محبته من قلوبهم فما زالوا يقولون الشعر الحكيم، ويتمثلون بما يطابق منه روح القرآن مما فيه: حث على فضيلة، أو تنفير من رذيلة، وما دعا منه الى العمل الصالح، والموعظة الحسنة، وما فيه مدح للرسول وأنصاره، والانتصاف للاسلام ممن ظلمه. ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبى صلى الله عليه وسلم. حتى إذا ما ثاروا لاسكان فتن أهل الردة، وفتح الممالك والأمصار. أضافوا الى ما ألفوه من أغراضه: الاكثار من التباهى بالنصر، ووصف الحروب والمعارك، وأحوال الحصار، وماشهدوه من الغرائب، وغنم الغنائم

أغراضه — لم تتجاوز أغراض الشعر فى هذا العصر (١) نشر عقائد الدين وحكمه، ووصاياه، والحث على اتباعه (٢) التحريض على القتال، والترغيب فى نيل الشهادة رفعا لكلمة الله (٣) وصف القتال، وحصار المدن (٤) البعد عن وصف الخمر، وغير العفيف من الغزل (٥) الهجاء فى سبيل الدفاع عن الاسلام بما لا يخرج عن حد المروءة، وبما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم من سيدنا حسان فى هجاء قريش (٦) المدح. وقلما كان فى غير الرسول

أسلوبه — وقد امتاز الشعر فى هذا العصر: بمتانة التركيب، وإحكام التعبير، والبعد عن خشونة المتقدمين، وحسن التصرف فى القول، وسعة الخيال، ولطف الأسلوب، ووضوح المعنى

ويسمى شعراء هذا العصر بالمُخَضرَمين[1] ومن أشهرهم :

حسان بن ثابت رضى الله عنه

نسبه ومولده — هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجىّ الانصارىّ . ولد بالمدينة قبل عام الفيل ببضع سنين

نشأته وحياته — درج حسان فى بيت أبيه ثابت المعروف بمكانته من الشرف والسيادة فى قومه ، فشب على الأدب والظرف ، ونشأ يقول الشعر . حتى اذا نبه شأنه انتجع به المناذرة والغساسنة وبالغ فى امتداح آل جفنة من ملوك غسان فأغدقوا عليه جزيل الصلات حتى بعد إسلامه . أسلم مع قومه الأنصار بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يشهد معه مشهدا لعلة قامت به بل نصب نفسه للنضال عنه بلسانه . ورفع النبى له منبرا بالمسجد ، وسمع هجاءه فى أعدائه وقال له « أجب عنى اللهم أيده بروح القدس» وحينما أذن له النبى فى هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم . فقال والله لأسلنّك منهم كما تُسَل الشعرة من العجين . وكان رضى الله عنه . ليّن الجانب ، عفيفا ، كثير الحياء ، مَهيبا ، فخورا بنفسه وقومه ، كثير المباهاة بحسبه

(١) قال الاخفش : يقال ماء مخضرم اذا تناهى فى السعة والكثرة . ومنه سمى الرجل الذى أدرك الجاهلية والاسلام مخضرما كانه استوفى الأمرين ، وقال السيوطى فى المزهر : يقال خضرم فلان عطيته أى قطعها ومنه سمى هؤلاء بالمخضرمين كانهم قطعوا عن الكفر بالاسلام أو لعل هذه التسمية من قولهم رجل مخضرم اذا كان أبوه أبيض وهو أسود

له ناصية يسدلها بين عينيه ولسان يضرب به طرف أنفه . عمر طويلا وعاش بعد النبى صلى الله عليه وسلم مُحَبَبا إلى خلفائه . مَكفيا من بيت المال الى أن توفى فى أيام معاوية بعد أن وَهَن وكُفَّ بصره

مكانته فى الشعر — كان شاعر أهل المدر فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام ، لم يكن فى أصحاب الرسول ، ولا فى أعدائه حين الدعوة الى الاسلام أشعر منه ولذا رمى كفار قريش من لسانه بالداهية الدهياء . فأوجعهم وأخرسهم ، وكان لقوله من النكاية فيهم أحسن بلاء وأحمد أثر من غير فُحش ولا هُجر ، وحسبه منزلة فى عالم الشعر إفحامه شعراء قريش وعلوه عليهم

شعره — أغراض شعره — جاهلية وإسلاما — لم تتعد المدح والفخر والهجاء ولم يغلب منها بعد إسلامه سوى الهجاء الذى اتخذه سلاحا يفل به أعداء الاسلام . وتلك الأغراض تقتضى فخامة الألفاظ ، وروعة الديباجة . لذا كان شعره فخم الأسلوب ، يروقك مدحه ، وتستثيرك حماسته ، ويملكك فخره ، ولا يحدث فيك النُّفرة هجاؤه . غير أن الاسلام رقّق حاشيته ، وهذّب ألفاظه ، وأوضح معانيه

وأما ما يرى أحيانا فى بعض شعره من النزول عن هذه المرتبة فقد اقتضاه كبر سنه ، وارساله القول على البديهة ، أو قد نسب اليه

ومن رائع شعره فى الاسلام يفاخر وفدا من تميم برئاسة الزِّبرِقان بن بدر

إنَّ الذَّوائب من فِهْر واخوتهم قد بَيَّنُوا سُنَّةً للناس تُتَّبَعُ (١)
يرضَى بها كلُّ من كانت سَرِيرتُه تَقْوَى الْإلٰه وبالأمر الذى شَرَعُوا
قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عَدوَّهُمُ أوحَاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا (٢)
سَجِيَّةٌ تلك فيهم غير مُحْدَثَةٍ إن الْخَلَائق فاعلم شرّها البِدَعُ (٣)
لايَرْقَع الناسُ ما أَوْهَت أَكُفُّهُمُ عند الدِّفاع ولايُوهُون مارَقَعُوا (٤)
إن كان فى الناس سبَّاقُون بعدهمُ فكل سَبقٍ لأدنى سبقهم تَبَعُ

وقال فى أبى سفيان :

ألا أبلغ أبا سُفيان عنى فأنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواء (٥)
بأن سيوفنا تَرَكَتْكَ عَبداً وعَبدُ الدار سادتها الاماءُ (٦)
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفء فشرُّكما لخَيركما الفداء
هجوتَ مُبارَكا بَرًّا حَنِيفًا أمينَ الله شِيمتُه الوفاء
فَمن يهجو رسول الله منكم ويمدحُه وينصرُه سَواءُ
فان أبى ووالدُه وعِرضى لِعرض محمد منكم وِقاءُ (٧)

(١) الذوائب : الرؤساء والسادة ، وفهر قبيلة من قريش
(٢) الاشياع : الاتباع والأنصار (٣) الخلائق : الطبائع ، والبدع : المستحدث من الاخلاق (٤) يرقع : يصلح ، وأوهت : أفسدت (٥) المجوف : الجبان الذى لاقلب له وكذلك النخب ، والهواء : الخالى من العقل أو الخير (٦) عبد الدار : قبيلة ، والاماء جمع أمة وهى المملوكة (٧) العرض : النفس

ومن صادق أقواله بعد اسلامه :

وإن امرءا يُمسى ويُصبح سالما من الناس الا ما جَنَى لَجَهُول

رُب حِلمٍ أضاعَه عدمُ المال وجهل غَطّى عليه النَّعيمُ

العصر الثالث — عصر الدولة الأموية

اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر

انتشارها — انتشرت اللغة العربية فى تلك الأقاليم التى افتتحها المجاهدون ، وأصبحت لسان أهل تلك المدن التى رفرف عليها علم الاسلام ، فغدت لغة حكوماتها ، واتسعت مادتها لكل حادث وجديد

أسباب سعتها — ومرجع هذا النماء (١) ماتعرفه العرب من الحضارة ، وما جد من المعانى التى دعا إليها التوسع فى العمران . اقتضى ألفاظا وأساليب قضت بتجدد الوضع ، وكثرة التصريف ، والاشتقاق ، والتعريب ، والتوسع فى المجاز

(٢) اقتضاء الملك نظما جديدة ، ودواوين [1] متنوعة ذات أساليب تناسب الناس على اختلافهم

(٣) كثرة فنون البذخ والنعيم ، وتنوع الاحوال الاجتماعية فى مجموع الأمة بما كسبت من الممالك التى فتحتها والتى اختلطت بها

(٤) تفسير القرآن الكريم ببسط كلياته الموجزة ، وتقرير قواعده ،

---

(١) الديوان : مجتمع الصحف ، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية

وإيضاح أحكامها على النحو الذى نهجه القرآن : من التصرف فى المعانى : بالانتقال من الحقائق إلى المجازات والكنايات ، والتصرف فى الألفاظ التى يؤدى بها كل ذلك

(٥) استنباط قواعد العلوم وتدوينها ، واقتضاء ذلك تجديد كثير من المفردات والأساليب[١]

ظهور اللحن — غير أنه منذ انتشر العرب فى تلك البقاع ، وأبعدوا فى أرض الفرس والروم وغيرها ، وامتزجوا بهم فى معاملاتهم ، وشاركوهم فى حياتهم الاجتماعية ، وألفوا أساليبهم العجمية . أخذت جُرثومة اللحن تتفشى فى اللغة لأول عهد الدولة ، ثم انتشر شيرا فى غضون أيامها ، وتعددت الحوادث المؤيدة له حتى سرى بين الأمراء والقواد

عناية بنى أمية باللغة وأدبها — وقد دعا ذلك خلفاء بنى أمية وأمراءهم

---

(١) فقد أخذ الأئمة من ذلك الحين فى وضع العلوم اللسانية ليتوصل الناس بها إلى فهم الكتاب والسنة ، وظهر المفسرون ، والفقهاء ، ورواة الشعر وأيام العرب وتاريخهم . فحدث بوضع هذه العلوم ، وبهذا التغيير الاجتماعى أسماء اصطلاحية مست إليها حاجة هذا التكوين الجديد ، وانتقلت من مدلولاتها الاصلية الى مدلولات اصطلاحية . ومن هذه المصطلحات اللغوية قولهم : النحو ، الصرف ، المعانى ، البيان ، البديع ، الاشتقاق ، المبتدا ، الفاعل ، المفعول ، الموصول ، المعرب ، المبنى ، الصحيح ، المعتل ، الابدال ، الادغام ، الحقيقة ، المجاز ، الكناية ، الاستعارة ، الطباق ، الجناس ؛ التورية ، الفعل ، البسيط ، الوافر ، ومن الشرعية : الحديث ، الصحيح ، الحسن ، المرسل ، ومن الادارية : الخلافة ، الوزارة ، الامامة ، المتطوعة ، الثغور ، العواصم ، الولاية ، الخراج ، الوظيفة ، الجزية ، العشور ، الجباية ، الوقف

إلى إيجاد مؤدبين لأولادهم من خيرة العلماء باللغة وأدبها. يلقنونهم أشعار العرب وخطبها. ومنهم من كان يرسل ابنه إلى البادية لاتقان اللغة، وتلقن الأساليب العربية الصحيحة. وبذلك نبغ فى الأدب العربى الكثير من ملوك هذه الدولة ورؤسائها. حتى غدوا أئمة المنابر يؤدون بالخطابة ماتقوم به بيض السيوف ولوامع الأسنة، وعنوا بالكتابة عناية لاتقل عن اهتمامهم بالشعر، ورفعهم من شأن أهله، وإجازتهم، والجلوس اليهم، وعقد المناظرات بينهم — ومن ذلك الحين ابتدأت أدوار التعليم، وتكونت أسواق الأدب، وأقبل الناس على فهم اللغة العربية. إذ أصبحت لغة الملك والدين، قائمة بما تقتضيه السياسة، وتتطلبه سعة العمران، وأخذت اللغة من ذلك الحين صبغة ظهرت بها فى أجمل مظاهرها، وبرزت واضحة جلية: فى الخطب، والرسائل، والشعر

الخطابة

ازدهرت الخطابة فى هذا العصر، وغدت فى المقام الأول، والمنزلة السامية، وحفل بنو امية بها لانصرافهم عن الشعر إليها، واعتمادهم فى كافة شئونهم عليها، حتى أصبحت لسان الوالى فى رعيته، والزعيم فى شعبه، والقائد فى جيشه، وأفضى ذلك الى تجويدها، وتوخى السداد والابداع فيها، وصارت فناً يُبصّر النشء بطرائقه، ويُدرّبون على أساليبه

أسباب تقدمها — وقد بلغت تلك الغاية (١) لأن الدين جعلها سبيلا إلى الدعوة اليه (٢) ولأنها قامت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٣) وكانت الوسيلة فى قمع الفتن ودفع البدع (٤) واعتمد عليها كل حزب فى تأييد دعوته، وبسط سلطانه، وعول عليها كل فريق فى إذاعة مذهبه وتوطيد نحلته . فوجدت مجالا واسعا للرقى، وسبيلا لاحباً[1] للتقدم

مميزاتها — فخامة الألفاظ، ومتانة التراكيب، والخلو عن الحُوشى، وجودة المقاطع، والاحكام فى الصنعة، والبعد عن الأسجاع، والايجاز فى غير خلل، والتطويل فى غير خطل، والاقتباس من آى القرآن، وانتهاج منهجه فى الارشاد والاقناع، والاستشهاد بأشعار العرب

عاداتهم فيها — ولم يُحل خطباء هذا العصر عن سنن أسلافهم خطباء صدر الاسلام : عن افتتاح خطبهم بتحميد الله وتمجيده . والصلاة على رسوله . حتى كانوا يسمون الخطبة التى لم تبتدأ بالتحميد «بَتْرَاء» ، والتى لم تُزَيَّن بالصلاة على النبى «شَوْهَاء» . وظلوا على عادات سابقيهم : من الاتكاء على العِصىّ ، والاعتماد على القِسىّ[2] ، والقيام فيها . الا ما كان من الوليد ابن عبد الملك ومن تبعه[3]

---

(١) أى واضحا (٢) جمع قوس (٣) فان الوليد ابتدع أن يخطب جالسا على المنبر — ولعل السبب فى ذلك كثرة لحنه ، وعدم خلوص عربيته

الخطباء — وقد ازدهى هذا العصر بخطباء مَصاقِع ، ولُسن مَقاوِل . كان منهم ، جل الخلفاء ، والقواد، والولاة وزعماء الأحزاب على اختلافهم . ومن أشهرهم : زياد ، والحجاج

زياد بن ابيه

مولده — المأثور أنه كان للحَارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِيِّ . طبيب العرب . أَمَةٌ تُدعى سُمَيَّة وعبد رومى يسمى عَبيدا . قرن بينهما . فولدت زيادا على فراش عبيد فى السنة الأولى من الهجرة

نشأته — نشأ زياد فى فتية قريش ، وبين شيوخهم وذوى أحلامهم بعد ما هذب القرآن لسانهم ، وثقف عقولهم . فتقلب فى مهاد الحكمة ، ودرج بين منابع البلاغة . وقد أوتى من وفرة العقل وسداد الرأى ماانتشله من منازل أبناء الاماء إلى مراتب السادة والعظماء . فغدا أديبا ، أريبا ، فتيق اللسان ، صلب الرأى ، ذا حزم ودهاء

حياته — لم تكد تمتد الفتوحات الاسلامية حتى دلت على زياد كفاءته : فاستكتبه أبوموسى الأشعرى . والى البصرة من قبل عمر رضى الله عنهما . فتجلى نبوغه ، وأظهر من المهارة ، وبعد الغور ما جعل عمر رضى الله عنه يعزله كراهية أن يحمل الناس على فضل عقله . وبلغ من إعجاب أبى سفيان به أن اعترف بعد اسلامه لعَلِيَّة من قريش وفيهم على رضى الله عنه : بان زيادا ابنه اشتملت عليه سمية منه وهو مشرك وإنما لم

يستلحقه علانية أنفة من العار ، وخوفا من عمر رضى الله عنه . وحينما بويع على رضى الله عنه بالخلافة اضطربت عليه فارس فأشير عليه أن يولى عليها زيادا فسيره إليها فى جمع كثير . وحينما وطئها عمد إلى سياسة التفريق ، فأوقع بين الثائرين وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى صفت من الفتن واستقام له أمرها . ولما قتل على رضى الله عنه اعتصم زياد بفارس فخافه معاوية ، وأرسل اليه المغيرة بن شعبة يتلطف له ويستقدمه فقدم على معاوية . فادعاه أخا له واستلحقه بمحضر من الشهود ، وصار يدعى زياد بن أبى سفيان (١) . ثم جمع له ولاية العراقين . ولم يجمعا قبله لغيره . فجرد سيفه ، وعاقب على الشبهة ، وأخذ بالظِّنة ، حتى شمل خوفه جميع الناس ، فاستتب الأمن حتى كان لا يغلق أحد بابه ، وكان الشىء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه . ومات سنة ٥٣ هجرية بعد أن أكد لمعاوية الأمر ، ووطد له دعائم الملك

منزلته فى الخطابة — كان زياد بليغا ، ذا ذكاء ينقطع دونه النظير . بلغ فى البيان حدا قال فيه الشعبى (ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فانه كلما

(١) وقد أعظم الناس ذلك وأنكروه لأنها أول حادثة خولف فيها الشرع الشريف جهارا لقوله عليه الصلاة والسلام (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وكان بنو أمية أشد الناس حزنا لدخول ابن عبيد الرومى فى نسبهم العربى الصميم

اكثر كان أجود كلاما) وحسبه شهادة سيدنا عمرو بن العاص له. عند ما خطب الناس بحضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكبار الصحابة رضوان الله عليهم . بقوله : لله در هذا الغلام . لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه .

نبذة من كلامه . ومن خطبته البتراء التى لم يحمدالله فيها وقد ألقاها على أهل البصرة حين قدمها واليا ، والفساد فيها ظاهر ، والفسق بها فاش

أما بعد ، فان الجهالة الجَهْلاء ، والضَّلالة العَمياء ، والغيَّ المو فِىَ بأهله على النار . مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم : من الأمور التى ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم ، لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . إنه ليس منكم إلا من طرَفت عينَه الدنيا ، وسدت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحَدَث الذى لم تُسْبَقُوا اليه : من تَرْككم الضعيفَ يُقْهَر . والضعيفة المسلوبة فى النهار لا تُنْصَر ، والعددُ غير قليل ، والجمع غير مفترَق ألم يكن منكم نُهاةٌ يمنعون الغواة عن دَلَج الليل وغارة النهار قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغْضُون على النُّكر . كل امرىء منكم يرد عن سفيهه ، صُنع من لا يخاف عقابا ، ولا يرجو معادا . فلم يزل بهم ماتَرَوْنَ من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حُرَمَ الاسلام ثم أطرَقُوا

وراءكم كُنُوسًا فى مكانس الرِّيب [١] ، حرام علىَّ الطعام والشراب حتى أضَع هذه المواخير بالأرض هدما وإحراقاً . إنى رأيت آخر هـذا الأمر لايصلح الا بمـا صلح به أوله : لِينٌ فى غَيْر ضَعف ، وشدَّة فى غَير عُنف ، وإنى لأقسم بالله لآخذنَّ الوَلِىَّ بالمَولى ، والمقيمَ بالظَّاعن ، والْمُطيعَ بالعاصى ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول (أُبْجُ سَعْدٌ فقد هلك سعيد) [٢] أو تستقيمَ لى قناتكم

الحـــجاج

مولده — هو الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثَّقَفى ولد سنة ٤١ هـ فى الكوثر من أعمال الطائف

نشـأته وحياته — كان والده يعلم الصِّبْية القرآن فاقتدى به الحجاج . وحينما اشتهر بالدهاء ، والتخلص من صعاب الأمور وصل خبره رَوْحَ بْن زِنْبَاع الخزامىَّ أحد أعوان عبـد الملك بن مروان فألحقه بشُرْطته . فأظهر من حسن التدبير مالفت نظر رَوْح إليه ، وذكرَه لعبـد الملك . حينما شكا إلى رَوح انحلال الجند . فقلده إمرتهم . فساسهم أحسن سياسة . ثم أسندت إليه قيادة الحملة التى وجهت إلى الحجاز لقتال عبدالله بن الزبير — وكان قد دعا لنفسه هناك — فسار إليه وحاصره فى مكة وقتله ، وأزال ملكه — ثم ولاه عبد الملك العراق وهو يموج بفتن الخوارج

(١) الكنوس : ج . كانس أى مستتر ، والمكانس : جمع مكنس . والمعنى أطرقوا مستترين فى مواضع الريبة . (٢) مثل يضرب فى تتابع الشر

والشيعة (١) فحكّم السيف ، وأراق الدماء ، وأذل الاعناق . حتى أرهب أهل العراق إرهابا لم يسمع بمثله فتم له أمره ، واستقر الملك لعبدالملك ، وبقى به مخلصا له ولابنيه : الوليد وسليمان . باذلا جهده فى بسط نفوذهم حتى خفقت راياتهم على مابين الشام والصين .

ومن مآثره . حمله نصر بن عاصم على وضع النقط والشكل للمصحف ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان رضى الله عنه وإرسالها إلى الامصار ، وبناؤه بالعراق مدينة واسط التى توفى بها سنة ٩٥ هـ

منزلته فى الخطابة — كان الحجاج آية فى الفصاحة والبلاغة ، قوى العارضة شديد التأثير ، ناصع الحجة ، قد قال فيه الأَصمَعِى : أربعة لم يلحنوا فى جِدّ ولاهزل : الشعبى ، وعبدالملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القِرِّيَّة (٢) . والحجاج أفصحهم . وقال مالك بن دينار يصف بلاغته : مارأيت أحدا أبين من الحجاج . إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق ، وصفحه عنهم ، وإساءتهم إليه حتى إنى لأحسبه صادقا وأظنهم كاذبين

نبذة من خطبه

لما قدم أميرا على العراق . دخل المسجد وقد غطى بعمامته أكثر وجهه

(١) الخوارج . قوم خرجوا فى أول أمرهم على الامام على رضى الله عنه واستحلوا قتاله لرضاه بأمر التحكيم ثم خرجوا بعده على بنى أمية وبنى العباس ، والشيعة . هم أنصار علي وأهل بيته رضوان الله عليهم (٢) هو أيوب بن يزيد والقرية أمه

مُتَقَلِّدًا سيفاً يَوْمَ المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعده ، ومكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أمية ، حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عُمَيرُ البُرْجُمِىّ ألا أحصبُه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيونَ الناس إليه ، حسَرَ اللثام عن فيه ونهض ثم قال

انا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى (١)

ثم قال : ياأهل الكوفة انى لأرى رءوسا قد أَيْنَعَتْ وحان قِطافها ، وانى لصاحبُها وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللِّحَى

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدِّى زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسَوّاق حُطَمْ (٢)
ليس براعى إبل ولا غَنَمْ ولا بجَزّار على ظَهْر وَضَمْ (٣)
قد لَفَّهَا الليل بِعَصْلَبِىٍّ أَرْوَعَ خَرّاج من الدَّوِىِّ (٤)
مُهاجرٍ ليس بأعرابىّ
قد شَمَّرَت عن ساقها فشُدّوا وجَدَّت الحربُ بكم فجِدّوا
والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مثل ذراعِ البَكرِ أو أشَدُّ (٥)
لا بُدَّ مما ليس منه بُدّ

(١) الثنايا جمع ثنية وهى العقبة . أو الجبل . أو الطريقة فيه . أى جلد يركب الأمور العظام (٢) زيم . اسم فرس أو ناقة . ولفها . جمعها . وحطم . لا يبقى من السير شيئاً (٣) الوضم . كل ما قطع عليه اللحم (٤) عصلبى . شديد ، أروع : ذكى الدو : الصحراء أى خراج من كل غماء شديدة ـ والداوية : الصحراء المتسعة التى تسمع لها دوياً (٥) عرد : شديد . والبكر : الفتى من الابل

إنى والله يا أهل العراق ما يُقعقَعُ (١) لى بالشَّنان (٢) ولا يُغمز جانبى كتَغماز التين. ولقد فُررْتُ (٣) عن ذكاء. وفُتِّشتُ عن تجربة، وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. نَثَرَ كِنانته (٤) بين يديه فعَجَم (٥) عيدانها فوجدنى أمرَّها (٦) عودا، وأصلبها مكسرا فرماكم بى لأنكم طالما أوْضَعتُمْ (٧) فى الفتنة، واضطجعتم فى مراقد الضَّلال. والله لأَحْزمنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمة (٨) ولأضربنَّكم ضرب غرائب (٩) الأبل، فانكم لَكأَهْل قرية كانت آمنةً مطمئنَّة يأتيها رزْقُها رَغَدًا من كُلِّ مكان فكفرَتْ بأَنْعُم الله فأَذاقها الله لِباسَ الْجُوع والْخَوْف بما كانُوا يَصْنَعُونَ. وإنى والله ما أقول إلا وفَيت، ولَا أَهُمُّ إلا أمضيت، ولا اخلُق (١٠) إلا فَرَيْت (١١). وإن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم، وأن أُوَجِّهكم لمحاربة عدوكم مع المهلَّب (١٢) بن أبى صُفْرَةَ، وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه

(١) يضرب (٢) جمع شن وهو الجلد اليابس فاذا ضرب به نفرت الابل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه (٣) فر عن الأمر بحث عنه

(٤) الكنانة: جعبة السهام من جلد (٥) عجم الشيء عضه لينظر مقدار صلابته (٦) أقواها (٧) الايضاع: ضرب من السير (٨) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تختبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان (٩) وهى تضرب عن الحوض أشد الضرب (١٠) أقدر (١١) قطعت (١٢) هو أبو سعيد المهلب ابن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد قواد الامويين. ومبيد الخوارج

الكتابة

تنقسم الكتابة قسمين : خطية ، وإنشائية — فالأول . مدلولها اللغوى وهو الخط . والثانى هو المتعارف لدى الأدباء .

الكتابة الخطية

الخط عند العرب — الخط صنعة مدنية تتقدم بتقدم المدنية ، وتتاخر بتأخرها ، وتنعدم بانعدامها . ولذا كان شائعا قبل الاسلام لدى التبابعة فى جنوبىّ الجزيرة ، وعند المناذرة والغساسنة فى شماليّها . لأنهم كانوا على شىء من الحضارة والتجارة والاجتماع . وانعدم عند القبائل المتبدية الرحالة سكان أواسطها

الخط فى ابتداء الاسلام — وكان الخط المستعمل فى ابتداء الاسلام هو الخط الأنبارىّ الحِيَرى المسمى لدى انتقاله إلى الحجاز بالحجازى . وكان يكتب به النزر اليسير من العرب ، وبضعة عشر من قريش ، وبعض أفراد من أهل المدينة ومجاوريهم من اليهود . ولما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش يوم بدر ، وأسر جماعة منهم كان فيهم بعض الكتاب . فقبل الفداء من أُمّيّهم ، وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة . فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحض النبى على تعلمها ، وتمكن أمرها بعد فتح مكة ، واجتماع شمل المهاجرين منهم بالأنصار ،

ولم يتم نزول القرآن الكريم حتى كان للنبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أربعين كاتبا . ثم انتقل الخط الى الأمصار والقرى التى دخلت فى حوزة الاسلام

الخط فى عهد بنى أمية — ولما فتح المسلمون الممالك والأمصار ، ونزل الكتّاب منهم بالكوفة . عُنوا بتجويد الخط العربى ، وتقويم أشكاله حتى أصبح خط أهل الكوفة ممتازا بشكله عن الخط الحجازىّ ، وصار المعروف من الخط فى ذلك العصر نوعين (١) الخط الكوفىّ . وكان يستعمل فى كتابة المصاحف والمسكوكات ونحوها مما يحتاج الى التأنق والاجادة (٢) الخط الحجازىّ . وهو أصل الخط الكوفىّ . وكان يستعمل فى كتابة الرسائل ونحوها مما يطلب فيه الاسراع ، ولا يحتاج فيه الى تأنق وزيادة تحسين . وقد انتقل الخط بنوعيه الى الأمصار التى انتشر فيها الاسلام ، وتنوعت أشكاله ، وتعددت رسومه ، وسرى إلى أفريقية وتولد منه الخط المغربى المستعمل الآن فى بلاد المغرب

إعجام الحروف

كان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية . يكتبون بلا إعجام ولا شكل اعتمادا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفاء منهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ — ولما فسد اللسان من اختلاط العرب بالعجم وتبيّن ان قواعد النحو التى وضعت فى عصر صدر الاسلام لم تكن لتصد من

غلبة التحريف ، ولم تحل دون انتشار اللحن : فى الاعراب ، والتصريف ، وكثر ذلك فى عهد بنى أمية ، وتسرب شىء منه الى القرآن الكريم ، وخيف من سريانه فيه — اضطُر الأمراء والعلماء . الى تعزيز تلك القواعد : بعلامات ظاهرة . تكتب على الحروف لتوضّح ما تشابه منها . فاخترعوا لذلك : النقط والاعجام «الشكل» — ذلك أن أبا الأسود الدؤلى[1] لما رأى اللحن متفشيا أتى زياد بن أبيه «والى العراقين» زمن خلافة معاوية بن أبى سفيان . وقال له . رأيت أن أبدأ باعراب القرآن . فابعث إلىَّ ثلاثين رجلا . فأحضرهم اليْه زياد . فاختار منهم أبو الأسود عشرة . ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس . فقال له . خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد . فاذا فتحت شفتىّ . فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتهما . فانقطها الى جانبه . وإذا كسرتهما . فانقطها إلى أسفله ، فاذا أتبعت شيئاً من ذلك غُنَّة . فانقط نقطتين . فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره . فجعل علامة الضم نقطة الى جانب الحرف ، والفتح نقطة فوقه ، والكسر نقطة فى أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين — وغَبَر الناس يقرءون فى مصحف عثمان رضى الله عنه نيّفا وأربعين سنة . إلى زمن عبد الملك بن مروان . ولكن إعجام أبى الأسود . كان غير حائل دون كثرة التصحيف ، وانتشاره بالعراق

(١) هو ظالم بن عمرو الدؤلى من سادات التابعين . كان من أكمل الرجال رأيا ، وأشدهم عقلا ، وهو أول من وضع النحو ، واخترع الشكل بالنقط . توفى بالبصرة سنة ٦٩ هـ

ففزع الحجاج بن يوسف الثقفى إلى كتّابه . وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات ، وأمر أحدهم (نصر بن عاصم الليثى المتوفى سنة ٩٨ هـ) أن يضع النقط والشكل أفراداً وأزواجا . فوضعه بنفس المداد الذى كان يكتب به — والفرق بين الوضعين . أن أبا الأسود وضع نقطا ليكون علامة للاعراب فى أواخر الكلم . وأن نصر بن عاصم وضع نقطا لتمييز الحروف المتشابهة ، وشكلا لأوائل الكلمات وأوساطها — وذكر بعضهم أن يحيى بن يَعْمُر المتوفى سنة ١٢٩ هـ نقط المصحف ولكن لا يُدْرَى . هل كان نقطه بطريقة ابتكرها ، أو اتبع طريقة شيخه أبى الأسود أو طريقة نصر بن عاصم . وسرى ذلك بين الناس مدة من الزمن . حتى نبغ الخليل بن أحمد . فتمّم بقية علامات الإعجام . كالشّدة والصلة ، والقطعة وهذّب جميع العلامات . فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف ، والفتحة ألفاً مسطحة فوقه ، والكسرة ياء صغيرة تحته ، والشدة رأس شين ، والصلة رأس صاد ، وسمى كل هذه العلامات بالشكل ، أخذا من شكال الدابة التى تقيد به . فكأن شكل الكلمة . يقيدها عن الاختلاف فيها

الخليل بن احمد

مولده ونشأته — هو عبد الرحمن بن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفَراهيدى الأزدىّ البَصرىّ . ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العربية

والحديث، والقراءة. عن أئمة زمانه. وكثر نزوحه عنها إلى البوادى. لسماع الأعراب الفصحاء، فنبغ فى العربية نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدمه ولم يلحقه أحد ممن تأخر عنه

آثاره — وقد بلغ الغاية فى تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو، وتعليله. فبسطه، وفرع على أصوله حتى جعله قواعد عامة مضبوطة. ثم لقن ذلك تلميذه سيبويه (وكتابه الذى يعتبر الأصل لكل كتاب فى النحو معقود أكثره بلفظ الخليل) وهو الذى تمم بقية علامات الاعجام للحروف، وهذب علامات الاعراب. فأبرز الشكل المستعمل الآن فى ضبط الحروف. بصورته الحاضرة. ومما يشهد له بسعة الفكر، وحدة الذهن وبعد النظر. اختراعه العروض علما كاملا. لم يحتج الى تهذيب بعده وابتكاره طريقة تدوين المعجمات «المفردات اللغوية» بتأليف كتاب العين، وتدوينه كتابا دقيقاً فى الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية، أو اشتغال بلهو، وزيادته فى الشِّطْرَنْج قطعة سماها جملا. لعب بها الناس زماناً طويلا. فهو نابغة العرب، وسيد أهل الأدب، ومخترع العروض، ومبتكر المعجمات، وصاحب الشكل العربى المستعمل الآن — ظل مقيما بالبصرة طول حياته زاهدا، متعففا، متقشفا، مُكِبًّا على الاشتغال بالعلم، والتعليم. حتى مات فى أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ وسبب موته على ما قيل: أنه قال أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضى به الجارية إلى البقال فلا يظلمها. فدخل

المسجد وهو يُعْمِلُ فِكْرَه . فاصطدَمَ فى سَارية صدمة شديدة ارتجَّ منها مخه ، واعتل بسبب ذلك علة فارق الحياة بسببها

الكتابة الانشائية

تقدمت الكتابة الانشائية فى هذا العصر ، وتشعبت طرقها ، وكثرت فنونها ، وعذُبت أذواقها حسبما قضت به حضارة القوم ، ودعا اليه تقدمهم فى المدنية ، ونبغ فيها كتَّاب قصروا جهدهم على إعلاء شأنها . حتى أوشكت فى أواخر هذه الدولة أن تصير صناعة مُحكمة الأصول ، متشعبة الفروع ، مبينة القواعد : بما أدخله فيها الناشئون من أبناء الكتاب والموالى بعد نقل الدواوين إليها — وتشمل كتابة الرسائل ، والدواوين .

الرسائل

جرى خلفاء بنى أمية — أول زمنهم : فى رسائلهم : على سنن النبى وأصحابه . فكانوا يملونها على كتابهم ، وتصدر عنهم بعباراتهم . غير أنه لما اتسعت رقعة الملك ، وقرَّت أمور الدولة ، وزادت الأعمال . غدوا فى أشد الحاجة الى كُتَّاب مُترَسلين ، ونَبَغَة مُحررين ، يكتبون بأمرهم الى الآفاق ، وأطراف الدولة ليستقيم نظام الملك ، ويستقر أمر السياسة . وكانوا يختارون لهذا المنصب الجليل : كل رجل شديد الذكاء ، سريع الخاطر ، غزير المادة ، وافر العقل ، قوى الذاكرة . إذ كان يد الخليفة

وساعده، وخزانة علمه، وناموس سره. وأول كاتب اشتهر فى هذه الدولة. رجل يقال له: سالم. مولى هشام بن عبد الملك، وكاتبه، وأحد الواضعين لنظام الرسائل، وأستاذ عبد الحميد الكاتب

أسلوبها — وقد أخذت عبارة الرسائل فى هذا العصر صبغة أسهل من صبغتها الأولى، وغلب عليها الايجاز البليغ أول أمرها، واعتراها التطويل فى آخره حسبما اقتضته الحوادث إذ ذاك. غير أنه قد دخلها التكلف، والسجع، والقصد الى تنميق اللفظ

سبيلهم فى تحريرها — وقد نهجوا فى تحريرها منهج الخلفاء: باجراء الضمائر على قانون الوضع [1] بدون القصد الى ألقاب التفخيم، وعبارات التعظيم. حتى ولى الوليد بن عبد الملك ففخم المكاتبات، وأمر ألا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا. إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد فاتبعا سنن النبى وأصحابه والتابعين. ثم عاد الأمر بعدهما الى ما سنه الوليد. الى أن جاء عبد الحميد الكاتب فأدخلها فى طور جديد

كتابة الدواوين

لما اتسعت موارد الخلافة، ووفرت الغنائم، وفاضت منابع الفيء من الخراج ونحوه فيضا لا طاقة للخليفة وأمرائه به، ولا قبل لهم باحصاء

(١) فيعبرون عن النفس بضمير الافراد. ويخاطبون المكتوب اليه بكاف الخطاب وتائه، ويعبرون عند التثنية بلفظها وعند الجمع بلفظه

مستحقيه ، وتوزيع المرتبات على أربابها بالعدل إلا بترتيبها على نظم ثابتة أنشأ عمر رضى الله عنه دواوين مثل دواوين الفرس والروم . وكُتب فيها بغير العربية . لندرة من يحسن إدارتها على أصول الدول الراقية من العرب يومئذ . فكتب فى فارس والعراق بالفارسية ، وفى الشام بالرومية ، وفى مصر بالقبطية . الى أن ظهر فى العرب ومواليهم مَهَرة فى الكتابة والحساب ، وتأهلوا لادارة شئونها . زمن عبد الملك بن مروان . فحولها الى العربية[1] ، وأصبحت مصدرا من مصادر ثراء اللغة : بما استُحدث لها من الألفاظ والمصطلحات

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد . نشأ بالشام ، ونسب الى بنى عامر . وَعَى القرآن فى صغره ثم اشتغل بتعليمه الأطفال فى المكاتب متنقلا وهو مع هذا دائب فى حذق الكتابة . حتى تخرج فيها على سالم . مولى هشام ابن عبد الملك ، وكاتبه ، وأول من اشتهر بالكتابة فى عصر الأمويين ، وأحد النَّقَلة من اليونانية .

اتصل بمروان بن محمد آخر ملوك الأمويين واختاره كاتبا لسره . وفى أثناء ذلك اتصل بابن المقفع وهو يومئذ أعلم الكتاب بالفارسية كما

(١) نقل ديوان العراق صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج ، ونقل ديوان الشام سليمان بن سعد والى الاردن ونقل ديوان مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان

الشـــعر

بُنِيَت الدولة الأموية على أسنّة الرماح ، وشيد صرحها على دعائم السيوف ، وتكونت بالمغالبة والمنازعة . فقد كان الخلاف أولا بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما ثم بين الأمويين أنفسهم ، وبينهم وبين ابن الزبير. وقامت المنازعة بسبب ذلك بين المسلمين ، وعادوا الى العصبية الأولى ، واستنصر كل زعيم بقبيلته . هنالك عادت الحاجة الشديدة إلى الشعر : فى المنافرة والمفاخرة ، ورجع العرب إلى دَيدنهم فيه ، ونصبوا له الأسواق ، واتخذه قوم طريقا للتكسب ، وتقربت الأمراء للشعراء بالجوائز ، وأدَرّوا عليهم الأرزاق : يتألّفونهم . ليستفيدوا بعد الصيت ، وحسن الأحدوثة ، والتهيّب على الأعداء ، وجمع القلوب .

وبقى القوم على عهدهم بالشعر لم يجد لديهم فى فنونه سوى الشعر الغزلىّ والسياسىّ . وقد نَحَوْا فيه منحى السهولة فى صوغ الألفاظ ، والسلامة من الخُشونة ، والبعد عن الوحشية ، ورقة الأسلوب ، وكثرة التفنن فى أغراضه . حسبما اقتضته الحضارة التى ألفوها ، ودعت اليه المشاهد المتنوعة التى رققت طباعهم ، ولطفت أذهانهم . فأكسبتهم معانى ونِسَبا جديدة قضت بالعبارة عنها بما يلائمها . وغلب على كثير من الشعراء الاجادة فى غرض واحد . وعُد الشعر صناعة يقصد منه الحصول على المعاش وطلب الرزق من الأمراء . غير أن ذلك لم يكن لينقص من

قيمته ، أو يحط من شرفه ، أو يقلل من العناية بقائله

ولقد ولع القوم فى هذا العصر بالتوقيع وصناعة الغناء وتلحين الأشعار تلحيناً لم يعهدوه من قبل. إذ لم يكن الغناء العربى معروفاً فى عصر الخلفاء. اللهم إلا ما كانت تستعمله العرب فى الحُداء. أما هذا فجارٍ مجرى الانشاد. إلا أنه يقع بتطريب وترجيع. وبلغ من وَلعهم به أن مال إليه الملوك والأمراء فى غضون دولتهم.

وشعراء هذا العصر كثيرون. ومن أشهرهم. جرير، والفرزدق، والأخطل، وعمر بن أبى ربيعة. ولقد لهج الأدباء، ونَقَدة الشعر بالتفضيل بين الثلاثة الأول، وتقديم أحدهم على الآخر

ولكلٍّ هَوَى وميلٌ فى تقديم أحدهم على الآخر: فمن كان هواه: فى رقة النسيب، ولين الأسلوب، والتصرف فى أغراض شتّى، فضّل جريراً، ومن مال: إلى إجادة الفخر، وصلابة الشعر. فضّل الفرزدق، ومن نظر الى إجادة المدح، والامعان فى الهجاء ووصف الخمر، حكم للاخطل. على أن كثيراً من أهل النقد المعتد بهم فضل جريراً ورآه أشعر الثلاثة لأنه طرق جميع أبواب الشعر

عمر بن أبى رَبيعة

مولده — هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القُرشىّ

المَخزومىّ. ولد ليلة وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ٢٣ هـ بين أسرة أثيلة المجد، عظيمة الثروة

حياته — شب عمر فى نعمة والده عبد الله عامل الرسول ثم الخلفاء الثلاثة من بعده. فدرج متقلبا فى أعطاف النعيم، وخلا عن معالجة الأمور. فتفرغ لقول الشعر، وقاله وهو صغير فلم يأبه له أحد من فحوله ولكنه جرى فى سبيله، يسلس أبِيَّه، ويروض قوافيه حتى ارتاض له، وملك ناصيته

انتهج فى الشعر منهج التشبيب، ووصف النساء، وأحوالهن، وما اعتدن فى خلواتهن، وتعرض لسائرهن، وترصد لهن فى المواسم وأيام الحج، وترقبهن فى خروجهن للطواف والسعى، ووصفهن طائفات محرمات: بشعر سابقهن إلى خدورهن. لكثرة رواية الناس له، وشغفهم به حتى أولع به المغنون والظرفاء، وشغفت به القِيان والندماء. فرغبت كرائم الأسر عن أداء الحج فَرَقا منه، وضج أهل الورع والزهد من غوايته، وقعد رؤساء قريش عن نهيه. رعاية لمكانته، وتوقعا لاقلاعه. غير أن ذلك لم يزده إلا ذهابا فى طريقه، وإسرافا فى التغزل بكرائم العقائل، والتشبب ببنات السادة والخلفاء حتى أحفظ عمر بن عبد العزيز فنفاه إلى «دَهْلَك[1]» فأخلص فى التوبة وتجرد للطاعة. ثم غزا فى البحر

(١) جزيرة من جزر البحر الأحمر أمام مصوع

فاحترقت السفينة واحترق هو ومن كان معه فيها سنة ٩٣ هـ [١]

شعره — عاش عمر عيشة اللهو والاستمتاع بالملذات فى أندية الحب ومغانى الجمال فقصر شعره على النساء، ووصف أحوالهن، ومشاهدهن، وأحاديثهن وتفنن فى ذلك، وتغلغل فى جميع مناحيه، وجدد تلك الطريقة القصصية التى انتحاها امرؤ القيس فى معلقته وبعض قصائده، ورغبها الشعراء بعده فلم يوفقوا إليها وتعللوا بوصف الديار والاطلال

أبدع ماشاءله الابداع فى ذلك القصص الغرامىّ الاباحىّ حتى عد زعيمه ولم يكن عذريا يحب بقلبه بل كان مغرما بالجمال لانصيب له منه إلا لذة النظر فلم يفتح قلبه لواحدة من اللواتى أكثر التغزل بهن [٢] لذلك لا تجد فى شعره ما تجده فى شعر العُذريين: من التأثير العميق والوصف الدقيق للحب وآثاره. فقد كان يرى المظهر من مظاهر الحسن فيعمد إلى تصويره باللسان فحسب: بأسلوب رقيق، ولفظ رشيق، ومعنى أنيق، ووصف دقيق فكان لشعره اتصال بالقلب، وروعة فى الفؤاد. لقرب فهمه، وشدة أسْره وملاءمته لهوى النفوس

تشبَّب بالثريا بنت على بن عبدالله بن الحارث — وكان قد تزوجها رجل

---

(١) ذكر بعض الرواة أنه مات حتف أنفه، وأنه لما مرض مرض الموت جزع أخوه الحارث جزعا شديداً فقال: أحسبك انما تجزع لما تظن بى والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وقد سريت عنى

(٢) سوى الثريا بنت على كما يظهر مما رواه صاحب الأغانى من أحاديثها

اسمه سُهيل فقال فيها :

أيّها المنكح الثّريّا سُهَيلا عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان (١)

هى شاميّة اذا اماستقلت وسُهيل اذا استقل يَمان (٢)

وكتب اليها :

كتبتُ اليك من بلَدى كتابَ مُولَّهٍ كمِد

كئيبٍ واكفِ العَيْنَيـــن بالحَسَرات منفرد (٣)

يُؤرِّقه لهيب الشـــو ق بين السَّحر والكَبد (٤)

فيُمسك قلبه بيـــد ويمسح عينه بيـــد

ومن بارع شعره الذى اعتذر فيه فأبرأ قوله :

فالتقَينا فرحَّبَتْ حين سَلَّمْـــتُ وكفَّتْ دمْعًا من العين مَارا (٥)

ثم قالت عند العتاب رأينا منك عَنًّا تجُلُّدا وازورارا (٦)

قلتُ كلّا لاه ابنُ عَمّك بل خِفْـــنا أمورا كنّابها أغْمارا (٧)

فجعلنا الصدودَ لمّا خَشينا قالَةَ الناس للهوى أستارا

ليس كالعهد اذ عَهِدتِ (٨) ولكن أوقَدَ الناس بالنميمة نارا

---

(١) سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى على الراجح تزوجها ونقلها الى مصر (٢) استقلت : ارتفعت (٣) واكف العينين : قاطرهما (٤) أرقه : أسهره ، والسحر : الرئة (٥) مار : جرى وسال (٦) الازورار : الاعراض (٧) لاه : لله ، والأغمار : جمع غمر (بفتح فكسر ، وبضم الغين ، وفتحها مع سكون الميم ، وبفتحتين) الجاهل الذى لايجرب الأمور (٨) أى ليس الأمر كما تعهدين من قبل

فلذاك الاعراض عنك وما آ ثَرَ قلبى عليك أُخْرَى اختيارا
ما أبالى إذا النَّوَى قَرَّبتكم فَدَنوتم مَن حَلَّ أو مَن سارا
فالليالى اذا نأَيْتِ طِوَالٌ وأراها اذا قَرُبْتِ قِصارا

الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غَوث بن الصَّلْت التغلبىّ الملقب بالأخطل (١)

حياته — نشأ الأخطل بأرض الجزيرة فى قومه بنى تغلب على النصرانية وفجع فى أمه وهو صغير فربته زوجة أبيه فأساءت تربيته فشب بَذِىء اللسان، خبيث النفس، مولعا بالخمر. ثم أخذ اسمه يظهر فى عالم الشعر منذ هاجى كعب بن جُعَيل شاعر تغلب وغلبه. اتصل بخلفاء بنى أمية منذ أرسل يزيد بن معاوية إلى ابن جعيل أن يهجو الأنصار انتقاما من عبد الرحمن ابن حسان حين تشبّب بأخته (رملة) فأبى كعب، ودله على الأخطل رغبة فى فتك الأنصار به — فكان ذلك سببا فى ارتفاع نجمه، وذيوع شهرته. فانه اتصل بيزيد وهجا الأنصار فغضبوا وشكوه إلى معاوية فحكَّمهم فيه فطلبوا قطع لسانه فاستجار بيزيد فترضاهم وعفوا عنه.(٢) وحفظ له خلفاء بنى أمية هذه اليد فقدموه ولا سيما عبد الملك فانه عند ما أفضت اليه الخلافة

(١) لقب به. لأنه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل (أحمق، مفحش فى قولك) ومولده بالتقريب على ماجاء فى ديوانه سنة ٦٤٠ م (٢٠ أو ٢١ هـ)
(٢) وقيل بل احتال يزيد فى اعجازهم عن اثبات ما ادعوا

استعان به على قبائل قيس وشعرائها لانضمامهم إلى اعدائه آل الزبير وزاد فى إكرامه وأغدق عليه عطاءه وسماه شاعره وشاعر العرب وصار الأخطل يدخل عليه بغير اذن، وغدت له دالّة عليه أدت إلى جهره بتحقير شعائر الاسلام بين يديه وهو خليفة المسلمين (١)

ولما أغراه بشر بن مروان على القضاء بين جرير والفرزدق، وفضل الفرزدق. غضب جرير واستطار فى هجائه فقصر الأخطل لكبر سنه ولكنه ثبت فى ميدان دفاعه. وبقى مقربا لدى الأمويين حتى أقصاه عمر بن عبد العزيز. وكان يقيم حينا بدمشق وحينا آخر فى بلاد الجزيرة حتى توفى فى أول خلافة الوليد سنة ٩٥ هـ

شعره — الأخطل أحد الشعراء الثلاثة الذين تنازعوا إمارة الشعر فى هذا العصر، وشغل الناس بالتفاضل بينهم. امتاز: بسلامة قصائده الطوال من اللغو والتكلف والتعمق، وباجادة المديح والتفنن فى ضروبه والتروى فيه، ووصف الخمر، والهجاء البرىء من الفحش والبَذاءة. وأما باقى فنون الشعر فليس بالمبرِّز فيها ولاسيما الرثاء فلم يؤثر عنه إلا بضعة أبيات فى رثاء يزيد بن معاوية وهو أصل نعمته، ومبعث شهرته. وكان مُدِلا بنفسه فخورا لا يرى أحدا فوقه إلا الأعشى ولهذا نهج منهجه

ومن جيد قوله فى مدح عبد الملك بن مروان:

(١) فقد كان يدخل عليه مرتديا جبة خز وفى عنقه صليب ذهب ولحيته تنفض خمراً

نفسى فداء امير المؤمنين إذا ... أبدى النواجذ يوما عارم ذكر (١)

الخائض الغمرة الميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر (٢)

فى نبعة من قريش يعصمون بها ... ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر (٣)

حشد على الحق عيافو الخنا أنف ... إذا ألمت بهم مكروهة صبروا (٤)

لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ... ولا يبين فى عيدانهم خور (٥)

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأوسع الناس أحلاما إذا قدروا (٦)

هم الذين يبارون الرياح إذا ... قل الطعام على العافين اوقتروا (٧)

بنى أمية نعماكم مجللة (٨) ... تمت فلا منة فيها ولا كدر

ومن أفضل شعره قوله:

والناس همهم الحياة ولا أرى ... طول الحياة يزيد غير خبال

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الأعمال

ومن سائر شعره:

وإن امرءا لا ينثنى عن غواية (٩) ... إذا ما اشتهتها نفسه لجهول

---

(١) العارم: الشديد، والذكر: الشديدالقتال (٢) غمرة الشيء: شدته ومزدحمه
(٣) النبعة: الأصل الكريم (٤) حشد: سراع الاجابة لمنادى الحق، وعيافو الخنا كارهون للفحش، وأنف: أباة الضيم (٥) الأضغان: الأحقاد، والخور: الضعف
(٦) شمس جمع شموس وهو الرجل الصعب الخلق (٧) العافين: الفقراء
(٨) عامة (٩) ضلال وإفساد

الفَرَزْدَق

هو أبو فِراس هَمّام بن غالب بن صعصعة الدارمىّ التميمىّ الملقب بالفرزدق (١). ولد سنة ١٩ هـ من أب سَرِىّ فى قومه. ذى مواقف محمودة نَجَبه جد من عظماء الجاهلية معروف بمحيي الموءودات

حياته — نشأ الفرزدق بالبصرة وهى يومئذ حاضرة العرب، وأقام فى باديتها بين بلغاء قومه وشب فى ربوع الفصاحة فأخذ والده يرويه الشعر، ويدربه على القريض وهو فتى حتى انطلق به لسانه. قدمه والده الى أمير المؤمنين على رضى الله عنه يفتخر بشعره على حداثة سنّه فقال رضى الله عنه أقرئه القرآن فهو خير له فقرّت تلك الكلمة فى ذهن الفرزدق حتى كبر فاعتزم حفظ القرآن وقيد نفسه حتى حفظه مع أميته اتصل بعمال البصرة والكوفة يمدحهم حينا، ويعارض سياستهم فيقع فى يدهم تارة وينجو أخرى، ويذهب فى أثناء ذلك إلى الشام يمدح الخلفاء وينال عطاءهم ولا سيما معاوية وعبد الملك وأولاده

عاصر الفرزدق جريرا واستبقا فى حَلَبة التهاجى والاقذاع لما كان بينهما من التحاسد، والتنافس ولمناصرة الفرزدق البَعِيثَ على جرير فاستطار الشر بينهما، وذاع هُجر القول، وأثار الفرزدق على جرير نحو

(١) الفرزدق: الرغيف الذى يسقط فى التنور فلقب به لانه كان جهم الوجه من من جدرى أصابه

ثمانين شاعرا يهجونه حتى أصبحت البصرة والكوفة منتدى الشجار وانقسم الناس إزاءهما إلى حزبين يقدم كل منهما أحد الشاعرين وظل سوق ذلك التقاول منتصبا عشرات السنين لم يسقط أحدهما صاحبه مع حسب الفرزدق، وسيادة قومه، وكثرة مناصريه، وضعة جرير، وعدم نباهة آبائه. كان الفرزدق متهما بالفسق والفجور فضلا عن إقذاعه فى هجائه. وفى آخر حياته أهاب به داعى الرشاد فتاب وكف عن القذف وسلك سبيل الدين حتى توفى سنة ١١٠ هـ

كان ينتصر لآل البيت ويخفى تشيعه عن الخلفاء حتى حج هشام ابن عبد الملك ورأى على بن الحسين موضع الاجلال والتعظيم فتساءل عنه متجاهلا له، غاضا من قدره. فشق ذلك على الفرزدق وعرّض بهشام فى قصيدته الميمية المشهورة منكرا عليه تجاهله فحبسه هشام ثم أطلقه [1] وأولها

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيت يعرفه والحِلّ والحَرَمُ [2]

وليس قولك مَن هذا بضائره ... العُرب تعرف من أنكرتَ والعجَمُ

شعره — كان الفرزدق ولوعا بتعداد مناقب آبائه، متحديا بمكارمهم

(١) ذكر الاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثرى فى كتابه المجمل فى تاريخ الادب العربى: أن هذه القصيدة ليست للفرزق، وانها محمولة عليه، وان قائلها هو الحزين الكنانى أحد فحول الشعراء الأمويين قالها فى عبدالله بن مروان وبعض الناس يرويها لغيره (٢) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى

مُدلا باصله ، فخورا بحسبه، مقذعا فى هجائه ، مبدعا فى وصفه . فجاء شعره ممتلئا بالألفاظ الضخمة ، والتراكيب الفخمة ، متنوع الأساليب ، مشتملا على الغريب ، غير برىء من التعاظل والتعقيد ، جاريا على سنن الجاهلين ، حاويا لكثير من مفاخر العرب ، وأيامها وأنسابها . فأعجب به الرواة إلا الأصْمَعىّ ، واعترف له النحاة بالفضل على العربية

ومن جيد قوله فى الفخر :

لنا العِزّة القَعساءُ والعَدد الذى ... عليه إذا عُد الحصى يَتَخلّفُ (١)

ومنا الذى لا يَنطق الناس عنده ... ولكن هو المستأذَن المتصرف

تراهم قُعودا حوله وعيونهم ... مُكَسَّرة أبصارها ما تُطَرِّف

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأْنا إلى الناس وقّفوا

ولا عِز إلا عِزنا قاهر لهم ... ويسالنا النّصَفَ الذليل فنُنصف

هُمُ يعدلون الارض لولاهم التقت ... على الناس اوكادت تميل فتنسف

وإنك إن تسعى لتُدرك دارِمًا ... لأَنت المُعَنّى ياجَرير المُكَلّف

وهجا كُلَيبا قوم جرير هجاء بريئا من الفحش والهجر فقال :

ولو تُرمَى بلؤم بنى كُلَيب ... نجومُ الليل ما وضَحت لسارى

ولو يُرمى بلؤمهم نهارٌ ... لدَنّس لؤمُهم وضَحَ النهار

وما يغدو عزيز بنى كليب ... ليطلب حاجة إلا بجار

(١) القعساء : الثابتة

ومما سار من قوله :

يَمضى أخوك ولا تَلقى له خَلَفًا والمالُ بعد ذهاب المال مُكتَسَبُ

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المَجامع

جرير

مولده — هو ابو حَزْرَة جَرير بن عطية بن الخَطَفَى التميمى اليربوعى ولد باليمامة لسبعة أشهر فى أول خلافة معاوية فى بيت اشتهر بالشعر

حياته — نشأ جرير فى البادية فشب فتيق اللسان مطبوعا على قرض الشعر وكان يذهب إلى البصرة يمتار لأهله و يمدح أجوادها فاستهواه جاه الفرزدق وما بلغه : من مظاهر النعمة ، والمكانة لدى الولاة بفضل الشعر فود لو يصل إلى منزلته ، وحمله ذلك على منافسته فحدث بينهما التلاحى والتّساب زمنا طويلا ثم رأى جرير أن ينازل قِرنه عن كَثَب منه وعاونه قومه على ذلك فترك البادية واستوطن البصرة وناقضه على قرب منه . اتصل جرير بالحجاج وهو والى العراقين من قبل عبد الملك بوساطة بعض عماله فرفع منزلته وأعجب ببلاغة شعره ثم أنفذه إلى عبد الملك مع ابنه محمد ابن الحجاج وحينما وصل إليه استأذنه فى إنشاده مديحه فأبى وبعد أن توسل اليه أذن له . فانشده قصيدته التى يقول فيها :

أَلَستُم خير من ركب المَطايا وأندى العالمين بُطون راح

فاجازه وقربه ، وغدا من المُدّاح للخلفاء ، المتنافسين فى نيل هباتهم فكان

ذلك موقدا لنار الغيرة فى صدور مناظريه فشنوا عليه حرب الهجاء والفرزدق من ورائهم يُحرِّضهم ويُغريهم بالمال حتى نازله نحو من ثمانين شاعرا هزمهم جميعا ولم يقو على الثبات أمامه سوى الفرزدق والأخطل مع قصور الأخطل عن اللحاق به فقد مات وخلف الفرزدق يناضله بقية حياته إلا بضعة أشهر تاب فيها ثم لحق به جرير بعد زمن قليل سنة ١١٠ هـ

شعره — كان جرير متمسكا بمحاسن الدين، متجملا بمكارم الأخلاق، رقيق الشعور، صافى الطبع بريئا من خبث الأخطل، بعيدا عن فسوق الفرزدق. فكان لهذا أثر بيّن فى شعره. فامتاز: بطلاوة الديباجة، وجمال الاسلوب، ولطافة المعانى، وانفرد دون صاحبيه بكثرة التصرف فى فنون الشعر. فَرَقّ نسيبه، ونصعَ مديحه، وجادر ثاؤه، وأوجع هجاؤه. فكان بهذا أسبق فى ميدان القريض، وأكثر أنصارا من غريميه. وفضّله نقدة الأدباء وفطاحل النقاد على جميع شعراء عصره. ومن رقيق قوله:

ما كنتُ أول مُشتاق أخاطرَبَ ... هاجت له غدواتُ البَين أحزانا

ياأم عمرو جزاك الله مَغفرةً ... رُدِّى علىّ فؤادى كالذى كانا

يلقى غريمكُم من بين عُسرتكم ... بالبذل بُخلا وبالاحسان حِرمانا

لا بارك الله فى الدنيا اذا انقطعت ... أسباب دنياكِ من أسباب دنيانا

إن العيون التى فى طَرْفها حَوَرٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا (١)

---

(١) الحور: شدة سواد المقلة فى شدة بياضها

يَصْرَعْن ذا اللُّب حتى لاحَراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

ومن أمثلة هجائه . قوله فى الأخطل :

لو أن تغلب جَمَّعت أنسابها يوم التفاضل لم تزِن مثقالا
لاتطلبنَّ خُؤولة فى تغلب فالزِّنج أكرم منهمُ أخوالا
والتغلبى إذا تنحنح للقِرَى حكَّ اُسته وتَمثَّل الأمثالا

وقوله فى الراعى النُّمَيرِىّ أحد شعراء عصره :

إذا غَضِبَتْ عليك بنو تميمٍ حَسِبتَ الناس كلّهمُ غِضَاباً
فَغُضَّ الطرْف إنك من نُمَيْرٍ فلا كعْباً بَلَغْت ولا كِلاباً (١)

ومما يستجاد له من رثاء زوجته (٢)

لولا الحياء لهاجَنى استعْبَارُ ولزرت قبرك والحبيبُ يزُارُ (٣)
ولَهَت قلبى إذ علَتنى كَبْرَةٌ وذوو التمائم من بَنيك صغار (٤)
لا يُلْبِثُ القُرَناءَ أن يتفرَّقوا ليل يَكُر عليهمُ ونهار
صلّى الملائكة الذين تخيَّروا والطيّبون عليك والابرار
فلقد اراك كُسيتِ احسن مَنْظَرٍ ومع الجمال سَكِينة ووقار

(١) نمير وكعب وكلاب : أبطن من عامر بن صعصعة من قسيس (٢) وقد ندبت بها امرأة الفرزدق لما ماتت لعدم اجادته الرثاء (٣) استعبرت عبرته : جرت دموعه (٤) ولهت قلبى : أوقعتيه فى الحزن ، والكبرة بفتح الكاف : الكبر والضعف

ومن صادق أقواله :

إنَّ الكريمة يَنصر الكرمَ أبْنُها وابن اللئيمة للّئام نَصِير

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا والنفس مُولَعة بحب العاجل

العصر الرابع — عصر الدولة العباسية

حال اللغة العربية وآدابها إلى العصر الحاضر

(١) دور التقدم من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٣٣٤ هـ — قامت الدولة العباسية وسلطان الأمة العربية موطأ الدعائم ، مشيد الأركان ، وغُزَاة العرب ضاربون فى المشارق والمغارب حتى امتدت مملكتهم من الهند والصين إلى جبال البرانس بأوربة . وكان جمهورهم فى كل مملكة يفتتحها له السلطان على سكانها ، ودينه هو الغالب ، ولغته هى الرسمية لذلك تسارع الأعجام والموالى : إلى تعلم أحكام الدين ، وعلومه ، وحفظ اللغة العربية ، وضبط علومها . حتى نبغ منهم كثيرون كانوا فى طليعة العلماء والشعراء والخطباء ، وظهرت آثارهم أول زمن الدولة العباسية فكان صدرها عصراً زاهياً ارتقت فيه اللغة ، ونهضت آدابها ، وانتهى بامتداد نفوذ بنى بُوَيْه [١] الى جل الممالك الشرقية الاسلامة عام ٣٣٤ هـ

(١) هم أخوة ثلاثة أنجبهم صياد فخالفتهم السعادة حتى اقتسموا بينهم ملك العراقين : العجمى والعربى ، والجزيرة وفارس ودام الملك فيهم وفى بنيهم من سنة ٣٢٢ هـ الى سنة ٤٨٨ هـ

(٢) دور الذبول من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٦٥٦ هـ — اعتمد بنو العباس فى تأسيس دولتهم على الفرس والأعجام ، وأقاموا بهم مملكة قوية . امتد نفوذهم فيها ، وأطلق الخلفاء أيديهم فى سياستها ، وقدموهم على العرب فى مراتبها . فاستقلوا بشئونها ، وساموا العرب سوء المهانة والحقارة . فتضاءل أمرهم ، وضعفت شخصيتهم ، ولم يمض قليل من الزمن حتى اندمجوا فى غُمَار [1] العامة ، واشتغلوا بالحِرف المتنوعة ، وامتزجوا بالأعجام بالتصاهر والتجاور ، واغترفوا من مدنيتهم . فتكوَّن من المجموع شعب ممتزج خلقا وعادة ولغة وتفكيرا . فكان لهذا تأثير بيّن فى اللغة . تقلّص به ظل سلطانها ، وسرت العامِّيّة بين طبقات العامة حتى صار لكل إقليم لغة خاصة به وبقيت العربية الفصحى مستعملة فى رسوم الدول ، وفى تفاهم الخواص فى بعض الأحوال . فوقف التقدم فى بلاغة اللغة وآدابها وظل مستمرا فى التأليف والعلوم ، وهبّت اللغات الأخرى تسترد حياتها ، وتطارد العربية من بلادها غير أنها ثبتت فى ميدان دفاعها تطارد سيلها الجارف حتى سقطت بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ

ذلك شأن اللغة وآدابها فى الممالك الشرقية . أما حالتها فى جزيرة العرب ومصر والشام والأنْدَلُس فلم تبعد كثيرا عما كانت عليه فى العصر الأموى إذ كان سكان تلك الممالك وشعوبها إما سلائل عرب ، أو مستعربين لم

(١) جماعتهم ولفيفهم

يعد للعجمة أثر بينهم ، ولأن معظم هذه الممالك كان يتبع سلطان مصر فى غالب الأحيان فالحوادث التى تؤثر فى أحوالها واحدة — ولم يكن قد طرأ عليها يوم ذاك ماطرأ على الممالك الشرقية — لهذا بقيت العربية زاهرة فى هذه الممالك ، غالبة على لسان أهلها ، متمكنة من ملكة أدبائها . وإن كان قرب الجوار أعداها بعض ماعترى اللغة من الصبغة الفارسية ، وسرت اليها عدوى تقليدها للمشارقة فى أكثر الأمور

(٣) دور الانحطاط من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٩٢٣ هـ — تقهقرت اللغة وآدابها إثر سقوط بغداد ، وتراجعت من المشرق إلى المغرب ، باكتساح التتار ممالك الشرق ، وتخريبهم البلاد ، وحرقهم الكتب ، وتقويضهم عرش الخلافة . موئل المسلمين ، وعنوان العرب والعربية ، وأصبحت مصر والشام المرجع الأخير للغة ، وعلومها ، وشاركها فى بعض ذلك . اليمن والحجاز ، وشمالى أفريقية ، والأندلس . وبقيت اللغة مستعملة فى أكثر الأغراض التى استعملت فيها أواخر الدولة العباسية ، وامتزج بها كثير من الألفاظ التركية والفارسية ، وغلبت الصناعة على لغة الكتابة ، وفقدت كثيراً من جزالتها وبلاغتها . أما لغة العلم والتأليف فقد ظلت حافظة منزلتها . فضلا عما كان من سلاطين مصر والشام من ترغيبهم العلماء والأدباء فى تأليف الكتب العظيمة بأسمائهم ، وتقديمها برسم خزائنهم فحفظوا بذلك مجد الاسلام وعلومه إلى أن استولى العثمانيون على الشام

ومصر سنة ٩٢٣ هـ

(٤) دور الاحتضار من سنة ٩٢٣ هـ إلى سنة ١٢٢٠ هـ — وحينما استولى العثمانيون على البلاد العربية أصبحت التركية هى اللغة الرسمية فسُدَّت بذلك أبواب الرزق فى وجوه أدباء العرب الذين يتكسبون من مناصب الكتابة فى الدواوين . وجاء السلطان سليم إلى مصر فنقل العلماء ، والأدباء ، وكل ذى حرفة نفيسة وأكثر كتب الخزائن والمساجد والمدارس إلى القسطنطينية . فأظلّت مصر جهالة عمياء اتسع مداها فى عهد حكومة مختلفة النظام ، واهية السلطان ففسدت التربية ، والأخلاق ، وساد الجهل فقضى ذلك باضمحلال اللغة وخمودها فلم ينبغ فيها إلا النزر اليسير وجلهم من أهل الشام والعراق لمكان بداوتهم ، وقوة عصبيتهم . وامتزجت اللغة الفصحى بكثير من الألفاظ والأساليب التركية والعامية ، ولم يتحاش عنهما الأدباء والشعراء والمؤلفون وأكثروا من استعمالهما . فمرت اللغة فى دور من أدوار حياتها احتضرت فيه أو كادت إلى أن سرت فيها روح الحياة ، وتهيأت لها أسباب النماء منذ استولى محمد على باشا على مصر سنة ١٢٢٠ هـ

التغييرات التى طرأت على اللغة العربية

ترجع التغييرات الطارئة على اللغة فى هذا العصر إلى ثلاثة أمور (١) مايرجع إلى الأغراض التى تؤديها (٢) مايتعلق بالمعانى والأفكار

(٣) مايتعلق بالألفاظ والأساليب

أغراض اللغـــة

لما امتزجت المدنية الساميَّة بالمدنية الآريَّة تمام الامتزاج تناولت اللغة أغراضا لم تعهد فيها: بنقل علوم الأمم المغلوبة، وآدابها، وعاداتها. عدا مابلغه العرب من الثقافة والاستعداد لوضع القوانين واستنباط أحكام الشريعة وتدوين العربية لحفظ اللسان والدين. فكان من تلك الأغراض مايلى:

(١) تدوين العلوم الشرعية والعقلية واللسانية

(٢) الترجمة من اللغات الأجنبية الى العربية [١]

(٣) وضع اصطلاحات الصناعات المختلفة

(٤) وضع اصطلاحات الدواوين والكتب والرسائل

(٥) ضبط الأمور السياسية من المعاهدات وأمثالها [٢]

(٦) المحاضرة، والمناظرة، وتدريس العلوم، والجدل والتقاضى

(٧) التَّغَنِّى، وَالْمُجَانَة [٣] وَالسُّخْرِية، وأنواع الخلاعة

(٨) ازدياد وصف الأشياء التى اقتضاها التنعم بلذائذ الحضارة أو استدعاها نظام الملك والدفاع عنه

---

(١) واختص المشارقة والمغاربة بالترجمة لعراقة دولتهم فى الملك ولأنهم ورثوا ممالك ذات علوم وحضارة (٢) مثل المشارطات والبيعات (٣) مجن الرجل (من باب قعد) مجونا، ومجانة: لم يبال قولا أوفعلا

(٩) التهانى والتهادى فى الأعياد الفارسية كالنَّيْرُوز والمِهْرَجان

(١٠) التزهيد فى الدنيا والوعظ والقصص

المعانى والأفكار

وقد كان للانقلابات السياسية والاجتماعية أثر ظاهر فى التصورات الفكرية والأخيلة الرائعة التى تجلت فى عباراتهم بصور مختلفه. منها:

(١) الاكثار من الحجج والبراهين الشعرية والعقلية، وانتحاء مذهب الفلاسفة فى الشعر والخطابة والكتابة والتدريس ولا سيما بعد عصر الترجمة

(٢) شيوع التصورات الغريبة، والمعانى الدقيقة والأخيلة البديعة[1]

(٣) التهويل والمبالغة فى التفخيم من الأمور المقتَبسة من اللغة الفارسية ولا سيما بعد عصر المعتصم مما حسن اللغة من جهة وشوّهها من أخرى

الألفاظ والأساليب

كانت عبارة اللغة العربية. آخر عصر بنى أمية، قد مالت إلى السهولة فى اللفظ، والتفنن فى أساليب الكلام، والاطالة فى المرسل منه. وقد ازداد ذلك فى النصف الأول من عصر بنى العباس بما أدخله الكتاب والشعراء من أبناء الفرس والترك ومُتَرْجمى السريان ومن عاشرهم من أبناء

(١) ويظهر أثر ذلك: فى شعر بشار، وأبى تمام، والبحترى، وأضرابهم، وفى مثل كتابة ابن المقفع وسهل بن هارون

العرب : من الأساليب المختلفة والمحسنات البديعية التى وسعتها أصول اللغة وازدادت بها وضوحا و بيانا . فمن ذلك :

(١) ازدياد الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن وعباراته ومحاكات أسلوبه واقتباس آياته والاستشهاد بها

(٢) انتقاء الألفاظ الرشيقة الممثلة للمعنى تمام التمثيل . لاستعمال الرَّوِية ، وقلة الحاجة إلى الارتجال

(٣) الاكثار من ألفاظ التشبيه والمجاز والتمثيل والكناية والمحسنات اللفظية كالجناس ونحوه

(٤) التوسع فى إدخال ألقاب التبجيل على اسماء الخلفاء والأمراء وأرباب المناصب العالية . صونا لها من الابتذال ، وحجبا لها عن ألسنة السُّوقة

(٥) دخول كثير من الكلمات الاعجمية فى كثير من الأشياء ولا سيما ألوان الأطعمة والفُرُش وأدوات الصناعات وأنواع الآنية وأمثالها وتسمى الكلمة حينئذ مُعَرَّبَة [1]

(٦) وضع كلمات عربية جديدة بطريق القياس ، أو المجاز ، أو الاشتقاق : لاصطلاحات العلوم ، والفنون ، والصنائع ، وآلات الحرب وإدارة الحكومة وغيرها

---

(١) التعريب : نقل الكلمة من العجمية الى العربية . وهو من حق العرب الذين يصح منهم الوضع وقد انقضى عصرهم

(٧) التأنق فى صوغ العبارات ، وتَوَخِّى الألفاظ الرائعة ، ونقل كثير من كيفيات الأداء فى لغات أخرى

(٨) الميل إلى استعمال السجع . وازداد فى النصف الثانى من هذا العصر

(٩) الاسهاب فى العهود والمنشورات والرسائل التى يراد بها شدة التأثير والتهويل وتصوير المعانى بجمل مترادفة

(١٠) استعمال كثير من ألفاظ السُّخْف وَالْبَذَاء وعبارات الْمُجُون

(١١) حدوث لغة تأليفية ولغة فنية لتعليم العلوم والصناعات تُقَاسُ بمعيار المنطق والفاسفة لا بمعيار البلاغة . ولم تحدث هذه اللغة إلا أواخر عصر الارتقاء والأعصر التى تلته حتى غلبت على لغة الأدب والبلاغة ثم ازدادت تعقيدا بكثرة تأليف الأعاجم

نشوء العامِّيَّة وفساد اللغة باختلاط العرب بالعجم

طرأ اللحن على اللغة العربية منذ بدأ الاسلام ، وطغى عليها طغيان السيل الجارف أيام الدولة الأموية . لكثرة المخالطين للعرب من العجم الذين هجروا لغاتهم واستعملوا لغة الفاتحين فتكوَّنت لغة تخاطب عامِّيَّة مؤلفة من العربية المحرفة وشىء من الدخيل الأعجمى . وبالرغم من قبض العرب على زمام السلطة فى كل شىء فقد تفشى داء العجمة ، وازداد خَطْبه بين العامة من الصُّنَّاع ونظرائهم حتى نشأ فى كل إقليم لغة عامية خاصة

به عدا جزيرة العرب فقد ظل التخاطب بين أهلها باللسان العربى الفصيح إلى أواسط القرن الرابع . وهذه اللغات العامية استقلت عن العربية ، وتميزت عنها فى صدر الدولة العباسية بعد شدة التمازج بين العناصر . فخاف الأئمة وذوو العصبية من هول تغلبها على اللغة الفصحى ، وأشفقوا على القرآن من استغلاق فهمه ، وعلى السنة من طمس معالمها فحرضوا العلماء على تدوين اللغة ، والاكثار من العناية بضبط النحو ، وفنون البلاغة ، وعلوم الدين ، وبثّعُوا صورة العامية ، ومقتوا كل من يتكلم بها . ولم يُقَصِّر الْخُلَفاء ورجال الدولة فى شد أزر هذه النهضة ، وفتحوا أبوابهم للشعراء وأهل الأدب ، وحشدوا فى قصورهم أئمة اللسان يؤدبون أولادهم وخاصتهم تأييدا للعربية الفصحى ، وعملا على تخليدها . ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر بل استمرت فى انتشارها حتى صبغت بصبغتها ألسنة طبقات العامة فى العراق ومصر والشام وشمالىّ افريقيَّة والأندلس منذ ابتداء القرن الثالث . أما لغة التخاطب فى فارس وخراسان والسند وما افتتح من بلاد الترك والديلم والكَرَج وأرمينيَّة والنَّوْبَة وجنوب ولايات أفريقية الشمالية فكانت بين العامة هى اللغات الاعجمية الوطنية لكل مملكة ، وبين الخاصة هى الفصحى

ولم يُعن أهل العلم بتدوين شىء من هذه اللغات العامية إيمانا منهم بأن فى تدوينها داعية انتشارها ، وحضا على استعمالها وفى ذلك القضاء على

اللغة الفصحى. لغة الدين، والأدب، والعلم. نعم إن الأندلسيين والمغاربة قد رفعوا من شانها فنظموا بها كثيرا من المُوَشَّح (١)، وأنواع الزَّجَل (٢)، والشعر العامىّ. غير أن ذلك لم يكن طويل الأمد، ولم تعم به البلوى. لذلك لم تصبح العامية لغة علم وأدب. اللهم إلا ما كان بمصر والشام من مزاحمتها العربية فى الكتابة وبعض المؤلفات كما كان فى كتابة الدواوين بمصر فيما مضى ولا تزال بقية منه فى بعضها حتى الآن، وكما يرى فى تاريخ أنس الجليل والجبرتى وابن إياس لقصد إفهام العامة

تكون العامية — وقد تكونت العامية من عدة أمور (١) إهمالهم الاعراب (٢) توسعهم فى نحت الكلمات (٣) توسعهم فى قياس المشتقات، والمصادر، وأبواب الفعل، والنسب، والجموع (٤) تحريفهم الكلمات العربية (٥) إدخالهم كثيرا من الألفاظ الأعجمية (٦) توسعهم فى أساليب الكلام من حيث التقديم والتأخير، والنفى والأثبات، والتعريف والتنكير ونحوها (٧) سلوكهم طرق التصور والتفاهم المألوفة عن الأمم الأعجمية

الخطابة فى هذا العصر

قوتها، توفرها، بلاغتها — قويت الخطابة بقوة دواعيها. لأن

(١)، (٢) سيأتى بيانهما

الانقلابات السياسية ، والدعوات المذهبية ، والثورات الاجتماعية التى حدثت فى مبدأ هذا العصر من شأنها خلق مجالات التكلم ، وتقوية ملكات الخطابة وزيادة ثروتها ، والعمل على صقلها وتهذيبها . وتوفرت : بتعدد موضوعاتها ، وتشعب مناحيها ، وانكباب الدعاة عليها . فاصبحت بليغة سلسلة الأسلوب . لهيمنة العربية الفصيحة على الألسن ، ولقرب العهد بالبلاغة الأسلامية الأموية من ناحية التشيع إلى بنى العباس ، وقوة المحاجة فى إنكار ما انتهكه الأمويون من حرمات الدين ، ولتعدد اسباب التفاضل بين العباسيين والعلويين . لهذا بلغت الخطابة شأوا عظيما ، ونبغ فيها خطباء مَصَاقع (١) ، وبلغاء فَطَاحل (٢) ، لا يقلون عن إخوانهم من الأمويين

ضعفها واضمحلالها — غير أنها لم تستمر على تلك القوة بل أخذت حالتها فى الاضمحلال عند ما فترت دواعيها ، وهدأت دوافعها باستقرار الأمر لبنى العباس ، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات . فضعفت بضعف القدرة عليها ، وقلة المستحبين لها ولم يمض قرن ونصف من قيام الدولة حتى بطل شأن الخطابة السياسية ، وقصرت على خطب الجمع والعيدين والزواج ، وحل

(١) جمع مصقع (كمنبر) وهو البليغ ، أو العالى الصوت أو الذى لا يرتج عليه فى كلام (٢) جمع فطحل (كهزبر) وهو فى الأصل الضخم من الابل

محلها فى الأمور السياسية . إرسال الرسائل ، ونشر المنشورات ، وفى الأمور الدينية . مجالس الوعظ والتزهيد والتدريس فى المساجد

ولما ملكَ الْعِيُّ ألسنة الوعاظ . أواخر هذا العصر . ولم يستطيعوا إنشاء الخطب فى الموضوعات المختلفة عمدوا إلى استظهار خطب أسلافهم ، واخذوا يرددونها فوق المنابر بدون فهم لمعناها . ودرجوا على تلك الحال حتى اليوم

الخطباء — اشتهر بالخطابة فى صدر هـذا العصر كثير من الخطباء جلهم من بنى هاشم ، ومن الخوارج ، وبعض زعماء بنى أمية بالأندلس ، وآل الأغلب بأفريقية . ومن أشهرهم

داود بن على

هو داود بن على بن عبد الله بن عباس . نشأ فى قرية الْحُمَيْمَة[1] من أرض الشَّرَاة من أعمال (عَمَّان)[2] وأخذ علمه ، وأدبه عن أبيه على . حَبْر قريش ، وابن حبرها ، وبليغها ، ووارث علم أبيه عبد الله بن عباس واقتبس الفصاحة من المختلطين بهم من قبائل لَخْم وجُذام وتَنوخ وغَسَّان وقيس . ثم اشتهر بجليل الشيم : من الشجاعة ، والبطش ، وحب الانتقام

(١) قرية كان الوليد بن عبد الملك نفى على بن عبد الله بن عباس وأهل بيته اليها سنة ٩٥ غضبا عليه فنشأ داود بها هو واخوته وكانوا اثنين وعشرين ولدا ذكرا

(٢) بلدة بالشام على خط السكة الحديدية الحجازية وأما عمان التى باليمن فبضم العين وفتح الميم

وإباء الضيم ، وحرية الفكر ، وقوة المنطق ، وعدم الانغماس فى الترف والملذات والعكوف على الشهوات

ولّاه أبو العباس . عام بيعته : الكوفة ، وسوادها . ثم ولاه فى هذه السنة : إمارة الحاج ، وولاه معها إمارة الحجاز واليمن واليمامة . فوطد الملك لبنى العباس فى تلك البقاع ، ونكّل بمن وجده فيها من بنى أمية ثم استقر قراره بالمدينة بعد موسم الحج وتوفى بها فى شهر ربيع الأول عام ١٣٣ هـ بعد شهرين من قدومه اليها

منزلته فى الخطابة — كان لأخذه العلم والأدب عن والده ، واكتسابه الفصاحة من خلاصة تلك القبائل البدوية أثر بيّن فى انطباعه على البلاغة وذلاقة اللسان ، وقوة العارضة - ومن خطبه خطبته التى خطبها - يوم بيعة أبى العباس . على منبر الكوفة — ومنها :

أيها الناس . الآن أقشعت حنادس[1] الدنيا ، وانكشف غطاؤها وانشقّت ارضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ، وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزعه ، ورجع الحق إلى نصابه : فى أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم إلى أن قال —

(١) أقشعت : تفرقت وزالت والحنادس جمع حندس (بكسر الحاء والدال) وهو الظلمة

تَبًّا تَبًّا لبنى حرب بن أمية ، وبنى مروان . آثروا . فى مدتهم وعصرهم : العاجلة على الآجلة ، والدار الفانيه على الدار الباقية . فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم ، وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسننهم فى البلاد التى استلذوا بها تَسَرْبُل الأوزار ، وتَجَلْبُب الآصار ومرَحوا فى أعنة المعاصى ، وركضوا فى ميادين الغى . جهلا باستدراج الله وأمْنًا لمكر الله . فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون ، ومُزِّقوا كل مُمَزَّق فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

الشـــعر

هيئ للدولة العباسية فى شباب حياتها أن تكون ذات عز شامخ ، ومجد باذخ ، وسلطان وارف ، وبسطة فى النعمة ، وسعة فى الرفاهية . فجد ملوكها ، وذوو المقامات فيها : فى اقتناء كل فاخر ، وامتلاك كل ثمين . ليمتعوا أنفسهم بطيبات الحياة ولذائذها حتى أصبحت بغداد معدن الطرائف ، وبهجة العالم . وأخذ الشعراء من ذلك بنصيب وافر ، وشاركوا الأمة فى ذلك اليسر العميم ، ورقوا برقيها فى معارج الحضارة وأسباب النعيم . أضف الى هذا قول الخلفاء الشعر ، وعنايتهم به ، وإحضارهم المؤدبين لابنائهم ، وإقبالهم وجميع ولاتهم على الشعراء ، وجلوسهم لهم مجالس يمنحونهم فيها جزيل الهبات ، ويهبونهم وافر الجوائز . حتى أصبحت بغداد كعبة الشعراء فى الشرق . وضارعتها قرطبة فى الغرب . ورتع شعراؤهما فى أسباب ذلك الملك الفسيح ، وسكنوا القصور الشاهقة ، وأقتنوا الحدائق الغناء ،

واستخدموا الغلمان والجوارى ، وأمعنوا فى شهواتهم ، وتنعمهم بزخارف الدنيا . فرقت طباعهم ، وعذبت ألفاظهم ، وسلست أساليبهم ، واتسعت لديهم المعانى ، وانبسطت أمام مداركهم منازع التشبيه . فاستنبطوا لطائفها ، وجلوا خرائدها ، وحرصوا على التناسب بين أجزاء قصائدهم ، ورعاية الترتيب بين أغراضها . فقل اقتضابهم ، واستبدل كثير منهم بذكر الديار وقُطَّانها ، والاطلال ورسومها : الخمر وسقاتها ، والقصور وجنانها فنقلوا الشعر من تلك القفار المجدبة ، والأخبية المُطَنَّبة[1] : الى الرياض الناضرة ، والأُطُم[2] الشامخة ، والمناظر المونقة ، وأدخلوا فى الشعر ما اقتبسوه من أفكار اليونان والفرس ، وامتدت أيديهم إلى كثير من ألفاظهم فصورت به ما جاد به الترف ، وما استلزمته المدنية ، وتفننوا فى أنواعه أيما تفنن ، واستعملوه فى كل غرض من أغراض الحياة . فعرضت له عوارض تجلت فى أغراضه ، ومعانيه ، وألفاظه ، وأوزانه ، وقوافيه

الأمور التى استحدثت فى أغراض الشعر وفنونه

(١) زيادة استعماله فى الأغراض السياسية : من استحقاق الخلافة ، وتحريض ولاة الأمور ، وتهديدهم ، وانتقاد أعمالهم

(٢) زيادة استعماله فى إثارة العصبية ، والمفاخرة فى النسب ، والمذهب السياسى والدينى والعلمى

---

(١) خباء مطنب : أى مشدود بالأطناب (الحبال) (٢) الحصن وجمعه آطام

(٣) الغلو فى التملق المَشين فى شعر كثير من شعرائهم [١]

(٤) الاقذاع فى الهجاء ، والتصريح المعيب باسماء العورات ، والتعرض للحُرَم [٢]

(٥) الغزل بالمذكر ، والاستقصاء فيه حتى غلب على ما سواه [٣]

(٦) المبالغة فى وصف الخمرة ، وتشبيهها ، والدعوة إليها ، وذكر سقاتها وندمائها [٤]

(٧) ازدياد المُجُون ، والتَهَتُّك ، وحكاية الفسوق والمخازى ونحوها

(٨) ازدياد وصف مجالس الأنس ، والرياض ، والقصور ، ومصائد الوحوش ونحوها

(٩) الحكمة وضرب المثل [٥] وازدياد الوعظ والتزهيد فى الدنيا [٦]

(١٠) الحكايات التهذيبية ، والقصص الأدبية [٧]

---

(١) لكثرة المشتغلين به ، وقلة موارد الكسب الشريف . فلم يجد الشاعر سوقا رابحة لبضاعته إلا أبواب الخلفاء ، والاغراق فى مدحهم بما يخرج عن حد الذوق والعقل (٢) وذلك لقلة الوازع الدينى ، وازدياد الزنادقة وفساق الموالى والكتاب بعدوى تمازج الأخلاق (٣) كما فى شعر والبة بن الحباب ، وأبى نواس ، والحسين ابن الضحاك وغيرهم (٤) وذلك فى شعر أبى نواس ومسلم بن الوليد ومن تبعهما (٥) كما فى شعر صالح بن عبد القدوس ، وأبى الفتح البستى ، وأبى تمام ، والمتنبى وأبى العلاء (٦) كما فى شعر أبى العتاهية ومن سلك سبيله (٧) كما فى شعر أبان ابن عبد الحميد اللاحقى ، وأبى يعلى محمد بن محمد المعروف بالشريف صاحب كتاب الصادح والباغم

(١١) ضبط قواعد العلوم: من فقه، ونحو وغيرهما [١]

الأمور التى استحدثت فى معانى الشعر وأخيلته

(١) اختراع الأخيلة الجميلة التصور : فى التشبيه، والاستعارة، والأوصاف

(٢) استعمال الخيال الفرضى الوهمى الذى لا يتصور تحققه مما استدعاه الغلو فى المدح، أو الهجو، أو التشبيه

(٣) ترتيب الأفكار، واتصال بعضها ببعض. فقلّ الاقتضاب، وحسن التخلص من غرض لآخر

(٤) البعد عن فج الأوصاف وغليظ التشبيهات [٢]

(٥) الاستدلال بالحكم والأمثال، وقواعد الفلسفة، وشعائر الدين ونحوها [٣]

الأمور التى استحدثت فى لفظ الشعر وأسلوبه

(١) مجانبة ما جفا من الألفاظ، والاعراض عن غريبها

(٢) زيادة دخول الكلمات الأعجمية كما فى شعر أبى نواس وابن المعتز

---

(١) من الفنون التى استفحل أمرها فى غضون الدولة العباسية وأكثر الأندلسيون من النظم فيها كالتاريخ والقراءات والعروض والبديع (٢) كصفات الابل وحيوانات البادية، والأماكن الموحشة، وورود المياه الآجنة (٣) كما فى شعر أبى تمام، والمتنبى وأمثالهما

(٣) عذوبة الأسلوب ووضوحه مع بقاء الجزالة

(٤) استحداث البديع ، والاستكثار من أنواعه [١]

الامور التى استحدثت فى أوزان الشعر وقافيته

(١) الاكثار من النظم فى البحور القصيرة التى لم تنظم منها العرب إلا قليلا [٢]

(٢) ابتداع أوزان أخرى . كبعض أوزان اخترعها مسلم بن الوليد وأبو نُوَاس وأبو العتاهية ونظموا منها . وكالمواليا [٣] وكاختراع المُوَشَّحَات والزَّجَل [٤] فى أواخر الدولة العباسية

---

(١) أول سابق الى اختراعه بشار وحذا حذوه كلثوم بن عمرو الخطابى ، واستكثر منه مسلم بن الوليد . غير أنه لم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار ، وابن هرمة ، والعتابى

(٢) كالمضارع والمجتث والمقتضب (٣) المشهور أن أول من تكلم به جارية من جوارى البرامكة حينما حظر الرشيد على الناس رثاءهم بالشعر . ذلك أنها رثت جعفرا بشعر غير معرب حتى لا يعد شعرا وجعلت تقول بعد كل شطر (واموليا) ولهذا عرف بهذا الاسم . ويسمى الموال وهو على وزن البسيط ولا بد فيه من اللحن ومنه قول بعضهم :

طرقت باب الخباء قالت من الطارق فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق

تبسمت لاح لى من ثغرها بارق رجعت حيران فى بحر دمعى غارق

(٤) الموشح : أول من اخترعه الأندلسيون ، كانوا ينظمونه أسماطا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة و يسمون المتعدد منها بيتاً واحدا و يلتزمون قوافى تلك الأسماط وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القصيدة وأكثر ما تنتهى عندهم الى سبعة أبيات و يشتمل كل بيت على أسماط عددها بحسب الأغراض والمذاهب . وشاع استعمال الموشح فى دولة البربر . ومن الأندلس انتقل الى المشرق . ومثاله

ومن الأمور التى حدثت فى القافية

(١) المُخَمَّس : وهو أن يؤتى بخمسة أوزان من وزن وقافية ثم بخمسة أخرى من الوزن وقافية أخرى

(٢) المُزْدَوَج : وهو أن يؤتى بشطرين من قافية ثم بآخرين من قافية أخرى . وأكثروا منه فى نظم كتب الأدب والعلوم كما فى الألفية

الشعراء

كان العصر العباسى هو العصر الزاهر ، عصر الرونق والبهاء . نبغ فيه كثير من فحول الشعراء ، وبرز إلى ميدانه فطاحل من نبغائهم ، ولم يك قاصرا على الموالى يومئذ كما كانت الكتابة . بل تسابقوا فى حلبته هم وغيرهم من أعراب البادية أحيانا ، ومن سلائل العرب بالأمصار أخرى : غير أن بضعة

بدر تم شمس ضحا غصن نقا مسك شم
لا جرم من لحا قد عشقا قد حرم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أتم

الزجل — أول من اخترعه الاندلسيون وهو نوع من التوشيح إلا أنه لا يكون الا عامياً وقد شاع استعماله فى دولة البربر . ثم انتقل الى أهل المشرق فأجادوه زمن المماليك . ومثاله

ورذاذ دق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب و يسكر والغصون ترقص وتطرب
وترى تجى الينا ثم تستحى وتهرب

(انظر مقدمة ابن خلدون)

من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بَشَّار، وأبى نُوَاس، ومسلم بن الوليد ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب. ابو تمام، والبحترى، والمتنبى وأبو العَلاء المَعَرّى، والبَهاء زُهير

بَشّار بن بُرْد

هو أبو مُعاذ بشار بن بُرد بن بَرْجُوخ العُقَيْلِىّ ولاء، البصرىّ منشا الملقب بالمُرَعَّث[1]

نشأته وحياته — ولد بشار بالبصرة، ونشأ فى بنى عُقَيل بن كعب مولعاً بالاختلاف إلى الأعراب ببادية البصرة فشب صحيح السليقة، فصيح اللسان حتى إذا مانبغ فى الشعر استجدى به الخلفاء والأمراء وكان يعيش فى ظلاله رغد العيش، هادىء النفس لولا تعديه بالهجاء، وتعرضه للنساء وهتكه ستر الحشمة. ولما رأى أولو العلم شدة تهتكه، وسوء أثره أبلغوا أمره الخليفة المهدى فنهاه عن التشبيب فكان إذا أراد الغزل ذكر أن الخليفة منعه كيت وكيت وقال ما أراد فازداد توقحه، ولم يردعه تهديد المهدى. فسُعى به ثانية إليه. يضاف لهذا أن بشارا كان قد امتدحه ولم يجزه لتغيره عليه فهجاه. فبلغه الهجاء. فأمر أن يُضْرب بالسِّياط. فضرب به حتى مات سنة ١٦٧ هـ

(١) لقب به لأنه كان فى أذنه وهو صغير رعاث (بكسر الراء) جمع رعثة (بفتحها) وهى القرط

صفته وأخلاقه — كان بشار أكمَهَ ، ضخم الجثة ،مفرط الطول، مجدور الوجه ، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر . فكان من أقبح الناس عمى ، وافظعهم منظرا . وكان حاد الذهن ، صادق الحس ، سريع الخاطر حاضر البديهة ، قوى البصيرة ، مُفحما بأجوبته المسكتة ، كثير المُجون شديد الزندقة والاستهتار بالدين ، شُعُوبيا ، متضايقا بالناس ، نهّاشا لأعراضهم وكان إذا أراد الانشاد صفق بيديه وتنحنح وبصق يميناً وشمالا ثم ينشد فيأتى بالعجائب

منزلته فى الشعر — بشار باجماع الرواة ، ونقدة الشعر . زعيم طبقة المُولَّدين ، وحامل لوائهم ،وأكثرهم افتنانا ، وأبرعهم فى نقد الكلام وأقدرهم على الابداع ، وأسرعهم إلى اختراع البديع ، وإلى المجون البَذىء ، والغزل الرقيق ، أول من جمع بين جزالة البدويين ،ورقة الحضريين فكان شعره حدا وسطا بين القديم والحديث

قال الشعر وهو صغير ولم يبلغ الحلم إلا وهو طائر الصيت ، مخوف اللسان ، قد ضرب بسهم صائب فى أكثر فنونه : من مديح ، ونسيب ، ووصف ، وفخر ، وحماسة ، ورثاء ، وحكم ، ومجون ، وهجاء مُقذِع ، ورجز حسن . غير أنه طرق باب الهجاء وهو صغير لرواج سوقه فغدا أكثر قولا فيه ، وهاجى الشعراء المُفْلقين ،واحتدم بينه بين حمّاد عَجْرَد[1]

(١) هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة . نشأ فى الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ فى الدولة العباسية وهو شاعر مجيد ، ماجن ، ظريف ، خليع متهم فى دينه ، مرمى بالزندقة ، لم يكن يهاب كبيرا ولا صغيرا توفى سنة ١٦١ هجرية

والتقاذف بالأقوال فآلمه حماد فى بعض أهاجيه ولكنه لم يسقط منزلته ولصحة قريحته ، وبصره بالبلاغة يقول فى كل مقام ما يناسبه . فكان يشتد فى مواطن الشدة ، ويلين حيث يحسن اللين . بل قد يسفّ احيانا مراعاة لما يقتضيه المقام من سَفساف الكلام . ولما فى شعره من السلاسة والطلاوة أولع به شبان البصرة ، وخلعاؤها ، وافتتن به نساؤها فكنّ يذهبن اليه ويتغنين بشعره

ولم يكن بشار شاعرا فحسب بل كان خطيبا صاحب منثور ، ومزدوج ، وسجع ، ورسائل

ذهبت قصائده الاثنى عشر ألفا بذهاب الزمن ولم يبق له إلا قطع مختارة منتثرة فى الكتب — ومن رقيق غزله قوله :

لم يَطُل لَيلِى ولكن لم أَنَم ... ونَفَى عَنِّى الكَرَى طَيفٌ أَلَمْ

وإذا قلت لها جُودى لنا ... خرجَت بالصَّمْت عن لا ونَعَمْ

روِّحى ياعَبدَ عنى واعلمى ... أننى ياعبد من لحم ودَمْ

إن فى بُردَىَّ جسما ناحلا ... لو توكأْتِ عليه لانهدَمْ

ومن مدحه لخالد بن بَرْمك .

إذا جئته للحمد أشرق وجهُه ... إليك وأعطاك الكرامة بالحمد

مُفيدٌ ومتلافٌ سبيلُ تُراثه ... إذا ما غدا أو راح كالجَزْر والمَدِّ

أخالدُ إن الحمد يُبقى لاهله ... جمالا ولا تَبقى الكنوزُ على الكَدِّ

فأطعمْ وكُلْ من عارةٍ مُستَرَدَّةٍ ولَا تُبقها إن العَوارىَ للردِّ

ومن حكمه :

إذا كنت فى كل الأمور مُعاتبًا صديقَك لم تلق الذى لا تُعاتبُهْ
فعش واحدا أو صل أخاك فانه مُقارف ذنبٍ مرّة ومُجانبُهْ (١)
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذَى ظَمِئتَ وأىُّ الناس تصفو مَشاربه (٢)

ومن قوله فى الفخر:

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكنا حجابَ الشمس أو تُمطِرَ الدّما
إذا ما أعَرنا سيدا من قبيلة ذُرَى منبر صلى علينا وسلما

وقال فى عشق السمع :

ياقومُ أُذْنى لبعض الحى عاشقةٌ والأذنُ تَعشَق قبل العين أحيانا
قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذى فقلت لهم الاذن كالعين تُوفى القلبَ ما كانا
هل من دواء لمَشغوفٍ بجاريةٍ يَلقى بلُقْيانها رَوْحًا وريحانا

أبو نُوَاس

هو الحسن بن هانىء بن عبد الأوّل بن الصبّاح الحَكَمىُّ . تكنى بأبى على ثم تكنى بأبى نواس بارشاد خَلَف الاحمر (٣) فغلبت على كنيته الاولى

(١) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه
(٢) القذى : مايسقط فى الشراب من ذباب وغيره
(٣) هو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر مولى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى

نشأته وحياته — ولد أبو نواس سنة ١٤٥ هـ بقرية (استان ماتارد) من كُورة خُوزستان شرقىّ البصرة ومات والده وهو حدث. فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده وأسلمته إلى عطار يشتغل عنده غير أنه انصرف إلى الادب، ولهج بالشعر، واتفق أن لقيه والبَة بن الحُبَاب الاسدى (١) فتوسم فيه الفطنة وتوقد الذهن وقال له: إنى لارى فيك مخايل فلاح لا يحسن أن تضيعها وستقول الشعر وتعلو فيه فاصحبنى أُخَرِّجك. فصادف قوله هوى فى نفس أبى نُوَاس وخرج معه إلى الكوفة، ولازمه، واقتبس منه، واتصل بأدباء الكوفة وشعرائها فتخرج عليهم ولم يلبث أن فاقهم جميعا. وكذلك أخذ عن علماء البصرة وشعرائها، وتلقى الغريب عن ابى زيد الأنصارى (٢) وحفظ أيام الناس عن أبى عُبَيدة (٣)، وظل بالكوفة مع اختلافه أحيانا إلى

الأشعرى. كان راوية. علامة. شاعرا بليغا يصنع الشعر وينسبه الى العرب فيشبه كلامه كلامهم وكان يذهب مذهب الأصمعى فى الرواية حتى قيل انه معلم الأصمعى. وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم بعد وفاة حماد لكنه فاق حمادا. نسك فى أواخر أيامه وترك الشعر والكلام فيه واذ ذاك خرج الى أهل الكوفة وعرفهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الناس ومات سنة ١٨٠ هجرية

(١) كان شاعرا غزلا ماجنا متهما فى دينه. وصافا للغراب والغلمان

(٢) هو سعيد بن أوس الأنصارى: كان حجة ثقة اماما فى النحو واللغة والأدب والنوادر والغريب. أخذ عن أبى العباس الضبى وله تصانيف كثيرة. ولد سنة ١٢٢ هجرية وتوفى سنة ٢١٥ هجرية

(٣) هو أبو عبيدة جعفر بن المثنى كان أعلم بالأنساب وأيام الناس من الأصمعى وأبى زيد وكان أبو نواس يتعلم منه ويذم الأصمعى. وكان شعوبيا يرى رأى

البصرة حتى جاوز الثلاثين فقدم بغداد فى خلافة الرشيد ومدحه واتصل به وغدت له دالّة عليه. ومدح جماعة من الوزراء والعظماء وعمال الولايات وحبسه الرشيد مرة لهجوه نزارا هجوا موجعا. ثم امتدح الامين من بعده وانقطع اليه وحبسه مرة لافراطه فى المجاهرة بالمعاصى. ولم يلبث بعد إطلاقه أن توفى سنة ١٩٩ هـ

صفته وأخلاقه — كان ابونواس جميل الشكل، خفيف الروح، عذب الحديث، لطيف المَحضَر حلو الشمائل، كثير النوادر، فصيح اللسان جيد البيان، كثير الهزل والمجون مدمنا للخمر، جريئا على اقتراف الآثام الشهوية، والمجاهرة بها قولا وعملا، أغزر الناس أدبا، وأجودهم بديهة، وأحدهم ذهنا، وأقواهم حافظة، وأوسعهم رواية للغة والادب والشعر (١)

منزلته فى الشعر — أبونواس زعيم الشعراء المحدثين بعد بشار، وأفصحهم لهجة واكثرهم تمثيلا لاحوال أهل عصره، وتصويراً لحياتهم، ولج أبواب الشعر كلها: من مدح وهجاء، ووصف، ورثاء، وزهد وشكوى، وعتاب وغزل، ومُجُون، وامتاز عنهم بفُحش مجونه، وصراحة قوله، وإبداعه فى وصف الخمر. كان لشعره رقة وحلاوة تأسر الالباب، وتستهوى النفوس

الخوارج الأباضية. مبغضا للعرب له فى مثالبها كتاب وله غيره مصنفات كثيرة وكان مع علمه ومعرفته لم يقم البيت اذا أنشده ولا يقيم اعرابه ويروى الشعر مختلف العروض ولد سنة ١١٣ هجرية وتوفى سنة ٢١١ هجرية

(١) روى عنه أنه قال: ماقلت الشعر حتى حفظت شعر ستين امرأة. فماظنك بالرجال

وكان مع هـذه الرقة ، وذلك المجون . جزل الالفاظ ، ضخم الاساليب كثير الغريب (١)

وكان المأمون يقول لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وصفت نفسها كما وصفها ابو نواس فى قوله:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عن عدوٍّ فى ثياب صديق

ومن جيد مدحه للخصيب أمير مصر :

إذا لم تَزُر أرضَ الخَصيب ركابُنا ... فأىّ فتًى بعد الخصيب نَزورُ

فما جازه جودٌ ولا حَلَّ دونه ... ولكن يصير الجود حيث يَصير

فتًى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تَدور

ولم تَرَ عينى سُوددا مثل سودد ... يَحُلُّ أبو نَصْرٍ به ويسير

زها بالخصيب السيفُ والرمحُ فى الوَغَى ... وفى السلم يزهو منبر وسرير

جوادٌ إذا الأيدى كَفَفْنَ عن الندى ... ومن دون عَوْرات النساء غُيور

وله فى عزة النفس:

وقد زادنى تيهًا على الناس أننى ... أرانى أغناهم وإن كنت ذا فقر

فوالله لا يُبدى لسانى حاجَةً ... إلى أحد حتى أُغَيَّبَ فى قبرى

فلا يَطعَمَنْ فى ذاك منِّى طامع ... ولا صاحبُ التاج المحجَّبُ فى القَصْر

فلو لم أرِث فخرا لكانت صيانتى ... فَمِى عن سؤال الناس حَسْبى من الفخر

(١) سئل العباس بن الأحنف عن شعره فقال : انه لأقر للعين من وصل بعد هجر ، ووفاء بعد غدر ، وانجاز وعد بعد يأس

ومن قوله فى صفة الخمر :

فَتَمَشَّتْ فى مَفاصلهم كَتَمشِّى البُرْءِ فى السَّقَمِ
فَعَلَتْ فى البيت إذ مُزِجت مثل فعل الصبح فى الظُّلَمِ
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السَّفْر بالعَلَمِ

مُسلم بن الوَليد

هو أبو الوَليد مسلم بن الوليد مولى الانصار الملقب بصريع[1] الغوانى نشأته وحياته — ولد بالكوفة ونشأ بها وقال الشعر فى صباه. وامتدح به الخلفاء والرؤساء مكتفيا بما يناله من قليل العطاء. وينفقه على ملذاته مع إخوانه من خُلَعَاء الشعر. ثم انقطع إلى يزيد بن مَزْيَد الشَّيْبَانى قائد الرشيد. ثم اتصل بالخليفة هارون الرشيد، وعد من شعرائه، ومدحه، ومدح البرامكة وحَسُنَ رأيهم فيه. ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين: الفضل بن سهل. وزير المأمون فى أول خلافته: قربه، وأدناه لانه كان من خاصته قبل وزارته. وولاه أعمال بُجرجان اكتسب منها الف ألف درهم. ثم لزم منزله إلى أن أنفقها فى الملذات. وعاد إلى الفضل فقلده الضياع بأصْبَهان. فاكتسب منها ألف ألف أيضا. ولما قتل الفضل لزم منزله ونَسَك. ولم يمدح أحدا حتى مات سنة ٢٠٨ هـ

(١) لقبه بذلك هارون الرشيد لقوله

هل العيش الا أن تروح مع الصبا صريع محيا الكأس والأعين النجل

منزلته فى الشعر — مسلم أحد الشعراء المُفْلقين ، والبلغاء المبدعين . تكلف البديع فى شعره ، واستكثر منه فى قوله . ففاق بشارا فيه ، وتبعه جماعة من الشعراء . أشهرهم أبو تمام الطائى .

كان مسلم متفننا فى شعره حسن التصرف فيه . جميل الاسلوب ، جيد القول فى الشراب ، أول من عقد المعانى الظريفة ، واستخرجها . فمزج كلام البدويين بكلام الحضريين . وضمنه التصورات اللطيفة ، وكساه الالفاظ المونقة . فله ضخامة البدويين ورقة الحضريين

ومن جيد مدحه ليزيد بن مَزْيَد الشيبانى :

إه فى الأمن فى درْعِ مُضاعَفَة ... لا يأمنُ الدهرَ أن يُدعَى على عَجَل

ضافى العِنان طَمُوح العين همته ... فكُّ العُناة وأسرُ الفاتك الخَطِل (١)

لا يَعْبَق الطِّيبُ خَدّيه ومَفْرِقَه ... ولا يُمسِّح عينيه من الكُحُل

إذا انتضى سيفه كانت مسالكُه ... مسالك الموت فى الابدان والقُلَل (٢)

وان خَلَت بحديث النفس فكرتُه ... حَيّ الرجاء ومات الخوف من وَجَل

كالليث إن هِجْتَهُ فالموت راحته ... لا يستريح إلى الايام والدُّوَل

ومن قوله فى رثاء يزيد بن مزيد الشيبانى :

أحَقٌّ أنه أودَى يَزِيدُ ... تأمَّلْ أيها الناعى المُشِيدُ

---

(١) العناة : جمع عان وهو الأسير ، والخطل : ذو الخطل وهو الخطأ

(٢) انتضى السيف : استله من غمده والقلل جمع قلة (بضم القاف) وهى أعلى الرأس ، ورأس الانسان

أحامى المجد والاسلام أودى فما للارض وَيْحَكَ لا تميدُ

تأمَّل هل ترى الاسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد

أما هُدَّت لمَصْرَعه نزارٌ بلى وتقوَّض المجدُ المَشيد

وحلَّ ضريحه إذ حلَّ فيه طريفُ المجد والحسَبُ التَّليد

أَلَمْ تعجَب له أن المنايا فَتَكْنَ به وهن له جُنُود

ومن هجائه لدِعْبِل الخُزَاعىّ: (١)

أما الهجاء فدَقَّ عرضُك دونه والمدحُ عنك كما علمتَ جَليلُ

فاذهب فأنت طَليقُ عرضك إنه عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذليلُ

ابو تَمَّام

هو أبو تمام حَبيبُ بن أَوْس بن الحارث بن قيس الطَّائىُّ

نشأته وحياته — ولد أبو تمام سنة ١٩٠ هـ (٢) بقرية جاسم (٣) من أبوين فقيرين ، ورحل إلى مصر فنشأ بها يسقى الماء بجامع عمرو، ويجالس العلماء والأدباء ، ويأخذ عنهم ، وكان فى غريزته ميل إلى الشعر

(١) هو دعبل بن على بن رزين من خزاعة أصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر . متقدم ، مطبوع ، هجاء ، خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير ولا صغير . وتوفى سنة ٢٤٦ هجرية (٢) وقيل سنة ١٨٨ هـ

(٣) قرية بين دمشق وطبرية على بعد ثمانية فراسخ من دمشق

فحفظ منه مالا يحصى [١]، وحاكى الشعراء حتى برع فيه وأجاده، وسار شعره، وشاع ذكره حتى بلغ المعتصم خبره فاستقدمه إلى بغداد وفيها خالط العلماء ولابس الأدباء حتى صار واحد عصره فى ديباجة لفظه، وحسن أسلوبه، وفصاحة شعره. مدح المعتصم بمدائح رفعت منزلته لديه، ومدح وزيره ابن الزّيات [٢] وصاحب ديوانه الحسن بن وَهْب [٣] ورحل إلى الولاة ومدحهم، ونال أسنى جوائزهم، وقربوه، وحالوا دون تكسبه بشعره، فولاه الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين وتوفى سنه ٢٣١ هـ [٤]

صفته وأخلاقه — كان أبو تمام أسمر، طويلا، ظريفا، كريم النفس، حاد الذهن جيد القريحة، سريع الخاطر [٥] لطيف الحس، قوى الحافظة،

---

(١) كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقطعات والقصائد

(٢) هو محمد بن عبد الملك الزيات. شاعر. كاتب سياسى. ولى الوزارة للمعتصم والواثق، والمتوكل ونكبه المتوكل لحقد قديم وعذبه حتى مات سنة ٢٣٣ هـ

(٣) آل وهب أهل كتابة و بلاغة كتبوا للامراء والخلفاء منذ صدر الاسلام الى أواسط الدولة العباسية (٤) وقيل سنة ٢٢٢ هـ

(٥) يدل لذلك أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية ووصل الى قوله فيها

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال أبو يوسف يعقوب الكندى الفيلسوف. وكان حاضرا: الأمير فوق من وصفت فأطرق مليا ثم قال على البديهة

لاتنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

وعجب الحاضرون حينما أخذت منه القصيدة ولم يجدوا فيها هذين البيتين

فطنا ، فصيحا ، حلو الكلام ، تعترض لسانه تَمْتَمة يسيرة

منزلته الشعرية — ظهر أبو تمام والمدنية زاخرة ، والعلوم مترجمة ، فخَصُف عقلُه ، ولطف خياله ، واستنبط طريقته التى آثر فيها تجويد المعنى على تسهيل اللفظ . فكان أول من مهد طريق الأمثال والحكم لمن جاء بعده من الشعراء ، وأول من أكثر من الاستدلال بالأدلة العقلية ، والكنايات الخفية ولو أفضى به ذلك إلى التعقيد ، وترك السلاسة اللفظية . وقد حاول أن يتدارك ذلك فتوخّى الجناس ، والمطابقة ، والاستعارة فاستقام له بعضها ، واعتلّ عليه الآخر . ومع هذا فقد سلم له من الشعر ما غدا به رأس الطبقة الثانية [١] من الشعراء النابتين فى دولة بنى العباس ، وأصبح علما من أعلام الشعر العربى لكثرة ما له من المعانى الدقيقة ، والتشبيهات البديعة ، والابتكار العجيب ، والافتنان الغريب ، والأساليب الرشيقة ، والألفاظ الأنيقة . لا يعتمد معنى إلا أصاب حسنه كأنه موقوف عليه .

وهو أحد الثلاثة الذين رُزقوا السعادة فى شعرهم [٢] ، وتناول الناس له

---

(١) ينقسم شعراء هذا العصر الى ـ ١ ـ طبقة مخضرمى الدولتين ومن أشهرهم بشار وحماد عجرد وصالح بن عبد القدوس وغيرهم ـ ٢ ـ الطبقة الناشئة فى صدر دولة بنى العباس وأشهرهم : أبو نواس ، مسلم بن الوليد ، العباس بن الأحنف وغيرهم ـ ٣ ـ طبقة أبى تمام ودعبل ، وعلى بن الجهم ، وغيرهم ـ ٤ ـ طبقة البحترى . وابن الرومى . وابن المعتز وغيرهم

(٢) والثانى المتنبى والثالث أبو العلاء

نقدا وشرحا . جمع شعره فى ديوان طبع مرارا ، وله غيره . ديوان الحماسة، وكتابا فحول الشعراء ، والاختيارات من شعر الشعراء

تصرف أبو تمام فى جميع فنون الشعر وأكثر ما تتجلى براعته : مادحا أو راثيا — ومن بارع مدحه للمعتصم قوله :

هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ومن أجود المراثى رائيته التى رثى بها محمد بن حميد[1] الطوسى . ومنها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد وأصبح فى شغل عن السفر السفر[2]
وما كان إلا مال من قل ماله وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر
ألا فى سبيل الله من عطلت له فجاج سبيل الله وانثغر الثغر[3]

ومن أبدع قصائده . قصيدته التى يقول فى غزلها :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد[4]

---

(١) هو واخوته من شيعة الدولة العباسية وأنصارها وقوادها قتل فى احدى وقائع الخرمية أصحاب بابك الخرمى (٢) المسافرون جمع سافر

(٣) الثغر : الموضع الذى يخاف هجوم الاعداء منه فهو كالثلمة فى الحائط . وانثغر : انثلم

(٤) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر

وأنقذها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تعمد
فأجرى لها الاشفاق دمعا مورداً من الدم يجرى فوق خد مورد
هى البدر يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد

ويقول فيها فى الحث على الاغتراب :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ومن أمثاله وحكمه :

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من أين تاتى المكارم

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

البحترى (١)

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى الطائى

نشأته وحياته — ولد البحترى سنة ٢٠٦ هـ بمنبج (٢) فى قبائل طى وغيرها من البدو الضاربين فى شواطىء الفرات ، ونشأ بينهم . فشب فصيح اللسان ، وظهرت عليه مخيلة الشعر وهو صغير . ثم خرج إلى بغداد ، واتصل

(١) نسبة إلى بحتر : بطن من طى
(٢) من أعمال حلب واقعة بينها وبين الفرات

بأبى تمام، ولازمه حتى تخرج عليه، واقتبس طريقته فى البديع بغير إفراط، وَرَوى عن أبى العباس المُبَرِّد [١] وأمثاله من العلماء . وظل يردد صدى أبى تمام، وينهج منهجه . وأبو تمام يعضده . حتى قال له يوما : أنت والله يابنى أمير الشعر غدا بعدى . فصدقت نبؤته ، وأصبح البُحْتُرى بعد وفاة أبى تمام طائر الذكر، سائر القريض . ثم أقام فى خدمة المتوكل ، ووزيره الفتح بن خاقان محترما عندهما، مرعى الجانب إلى أن قتلا تحت جنح الليل والبحترى ثالثهم غير أنه احتجب عن القتلة بعضادة الباب فأخطأه الموت فرجع إلى مَنْبِج حزينا وبقى يختلف أحيانا إلى رؤساء بغداد وسُرَّ مَنْ رَأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ

صفته وأخلاقه — كان البحترى على حسن أدبه، وكبير فضله ورقة قوله : قَذر الثوب ، بخيلا على نفسه وغيره، مُبْغَض الانْشاد [٢] فخورا بشعره [٣] ، ذا أنفة وكبرياء، منصفا، يعترف بالفضل لأهله

---

(١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى ولد بالبصرة غداة عيد الأضحى سنة ٢١٠ هـ ورحل الى بغداد وأخذ عن أبى عمرو الجرمى وأبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى واليه انتهى علم العربية بعد طبقة أساتذته وكان حسن المحاضرة، فصيحاً بليغاً . مليح الاخبار . كثير النوادر ، فيه ظرافة ولباقة . توفى سنة ٢٨٥ هـ وله كتاب الكامل (٢) فقد كان يتشادق ويعوج فى مشيته جانبا ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ويشير بكمه (٣) كان يقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين . قائلا مالكم لاتقولون أحسنت هذا والله مالايحسن أحد أن يقول مثله

لايدّعى ماليس فيه (١)

منزلته الشعرية — كان لنشأة البحترى فى البادية الفضل فى ابتعاده عن تعمق الحضريين وفلسفتهم، واستمداده معانى الشعر من وحى الخيال وجمال الطبيعة لامن قضايا العلم والمنطق، سالكا مسلك أبى تمام فى المحسنات. غير أنه قد أجاد سبك اللفظ على المعنى. فجاء شعره بديع الخيال صافى الديباجة، متسق النظم، مصقول اللفظ، سلس الأسلوب. فجرى فى الأسماع، واتصل بالقلوب، ولهج به المغنون ممن عاصره أوجاء بعده لذا كان أشعر الثلاثة الذين انتهت اليهم إمارة الكلام فى أواخر الدور الأول من الدولة العباسية واعترف بهذا أبو الطيب على سمو منزلته فقال: أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى

ضرب البحترى بالسهم النافذ فى كل غرض من أغراض الشعر سوى الهجاء فله فيه النزر اليسير. وانما امتاز بالاجادة فى المدح والابداع فى وصف الأبنية العجيبة كوصفه إيوان كسرى وبركة المتوكل وقصر المعتز بالله

لم يسلم شعره من الغث الساقط لكثرته. ولكنه كان أجود من ردىء أبى تمام — قال يمدح المتوكل ويصف البِرْكة:

(١) قيل له: أنت اشعر من ابى تمام. فقال ماينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز الا به و وددت أن الامر كما قالوا ولكنى والله تابع له، آخذ منه، لائذ به نسيمى يركد عند هوائه، وأرضى تنخفض عند سمائه

مابالُ دجلَةَ كالْغَيْرَى تُنافسها ... فى الحسن طَوراً وأطواراً تُباهيها
أمَا رأتْ كالِئ الاسلام يَكْلَؤها ... من أن تُعاب وبانى المجد يَبنيها
كأنّ جنَّ سليمان الذين ولُوا ... إبداعها فأدقوا فى معانيها
فلو تَمُرُّ بها بلقيس عن عَرَض ... قالت هى الصَّرْح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضَّة البيضاء سائلةً ... من السبائك تجرى فى مجاريها
فحاجب الشمس أحياناً يُضاحكها ... ورَيِّق الغَيث أحياناً يُباكيها[1]
إذا النجومُ تراءت فى جوانبها ... ليلاً حَسبتَ سماءً رُكِّبَت فيها
كأنها حين لجَّت فى تَدَفُّقها ... يد الخليفة لما سال واديها
إذا مَساعى أمير المؤمنين بدَت ... للواصفين فلا وصفٌ يُدانيها
إنَّ الخلافة لما اهتز منبرها ... بجعفر أُعطيَت أقصى أمانيها
إذا تحلّت له الدنيا بحِلْيتها ... رأتْ مَحَاسنَها الدنيا مَساويها

ومن بديع معانيه:

دنوتَ تواضُعًا وعلوت مجداً ... فشأناك انحدارٌ وارتفاع
كذاك الشمسُ تَبعُد أن تُسامَى ... ويدنو الضوءُ منها والشعاع

ومن حكمه:

إذا مانَسبتَ الحادثات وجدتَها ... بنات زمان أُرصدَتْ لبَنيه
متى أرَتِ الدنيا نَباهَة خاملٍ ... فلا تَرْتَقِب إلَّا خُمُولَ نَبيه

(١) الريق من كل شىء: أوله

المُتَنَبِّي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجُعْفِيّ[١] نسبا، الكِنديّ مولدا الشهير بالمُتَنَبِّي

نشأته وحياته — ولد المتنبي سنة ٣٠٣ هـ بمحلة كندة بالكوفة من أبوين فقيرين، وأولع بتعلم العربية فعُنِى والده به عناية تامة حينما رآه. وهو لم يَعْدُ طور الحداثة: يحفظ من اللغة والأدب: الكثير الموفور. فخرج به إلى الشام، متنقلا به بين مضارب الخيام ثم مات عنه فتغلغل أبو الطيب فى البادية حتى ملك زمام الفصاحة، وأقبل عليه أعراب بنى كلب. فثار بهم على لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية[٢]. وأكبر همه أن يكون ملكا مطاعا. فقاتله لؤلؤ وقبض عليه وسجنه ثم أطلقه حينما امتدحه، واستعطفه[٣]. أخذ أبو الطيب بعد افتكاكه يضرب فى أرجاء الشام حتى لحق بسيف الدولة بن حمدان والى حلب والجزيرة فوردمنه أكرم مورد، ومدحه بمدائح خلدت اسمه وتعلم منه الفروسية

---

(١) جعفى بن سعد العشيرة احدى قبائل اليمانية فهو من سلالة عربية

(٢) الدولة الأخشيدية دولة استقلت بمصر والحجاز والشام استقلالا داخليا من سنة ٣٢٤ الى سنة ٣٥٨ هـ

(٣) ذكر كثير من المؤرخين أن أبا الطيب ادعى النبوة والظاهر أن القوم رموه بها حينما أنشدهم المعجز المعجب وخلبهم ببلاغته الى حد بعيد لم يستطيعوا معه الا أن يقولوا ان هذا من عند الله وعذرهم فى هذا ذلك السحر البيانى الذى سمعوه وتلك النفسية الطموحة التى أكبروا شأنها وما كانوا عليه من ضعف فى النفوس ومرض فى القلوب ساد أكثر المسلمين فى ذلك العصر

وحضر معه الوقائع العظيمة مع الروم وبقى مقدما على جميع حاشيته حتى جَفّ الثرى بينهما فانطلق أبو الطيب إلى كافور الأخشيدى. أمير مصر ومدحه بمدائح أخملت كل ملك سواه وكان همه أن يوليه كافور عملا له ثم يغلبه بعد ذلك على ملكه ولكن الأمير فطن له وحرمه بعد أن أمّله فادَّرع الظلماء وفارق مصر وقد صب هجاءه على كافور وأهلها. وقصد عضد الدولة بن بُوَيْه بفارس. فنثر عليه وعلى وزيره ابن العميد [1] الدرر السائرات من شعره. فأجزل عطاءه، ورجع بذخائره النفيسة إلى بغداد وجاوزها إلى الكوفة فخرج عليه فاتك بن أبى جهل فى أعراب بنى ضبّة وهو ممن أسرف المتنبى فى النيل من أعراضهم. فتقاتلا حتى قتل المتنبى وابنه مُحَسَّد وغلامه مفلح سنة ٣٥٤ هـ

أخلاقه — كان المتنبى عالى الهمة، كبير النفس، طموحا إلى عظائم الأمور، محبا للرياسة، صبورا، حريصا، بخيلا

منزلته الشعرية — علماء الأدب ونقدة الشعر مختلفون فى المفاضلة بين أبى تمام والمتنبى. ومن يتتبع كلامهما يرى أن أبا تمام ألين كلاما، وأقرب

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسين فارسى الأصل من مدينة (قم). نشأ مولعا بمعرفة العلوم العقلية، واللسانية فبرع فى علوم الحكمة ونبغ، فى الأدب. والكتابة. وابتدع فيها طريقته الخاصة التى حكاه فيها فحول عصره. رحل الى بنى بويه. وتقلبت به المناصب لديهم حتى ولى الوزارة. وفتح بابه للعلماء والشعراء وشاركهم فى كل مايعلمون توفى سنة ٣٦٠ هـ

إلى الأساليب الشعرية، وأن المتنبى أدق معنى، وأبرع مثلا، وأغزر حكمة وهذا أبو العلاء. على رسوخ قدمه، وجلال حكَمه يعد نفسه آية من آياته

قال المتنبى الشعر فى كل غرض من أغراضه واختص بالاجادة فى العتاب، والمراثى، والتشبيه، والهجاء الموجع، والابداع فى وصف القتال والتشبيب بالأعرابيات، والحكم، وإرسال المثلين فى بيت واحد، وحسن التخلص وصحة التقسيم. أما مدائحه فهى أكثر شعره وقلما ترك فيها معنى لم يطرقه — وأخص مايميزه: بروز شخصيته فى قوله، وصدق إيمانه برأيه، وقوة اعتداده بنفسه. ولثقته بها فى اللغة وعلوم العربية جعل غايته فى شعره إبراز معانيه الشريفة، وأفكاره الدقيقة فى أى لفظ كان، وبأى أسلوب تهيأله

عيوب شعره — وقد بلغ من إهماله جانب اللفظ أن وقع فى بعض المساوىء. كاستكراه اللفظ، وغرابته، وتعقيد المعنى ومخالفة القياس وقبح المطالع، والخروج فى المبالغة إلى حد الاستحالة

أثر شعره — وقد أصبح للغة العربية من كلامه ثروة لم تكن لها لولاه ومامن كاتب أو خطيب أو متكلم، أو مناظر، أو مدرس إلا وله من حكمه وأمثاله مَدَد أيّما مدد. وله ديوان شعر مشهور طبع مرارا وكتب فيه أكثر من أربعين تأليفا. ومن المتداول منها شرح الْعُكْبُرى وشرح الواحدى

ومن قوله فى مدح سيف الدولة :

هو البحر غُصْ فيه إذا كان ساكنًا ... على الدُّرِّ واحْذَرْهُ إذا كان مُزْبِدًا
تَظَل ملوكُ الأرض خاشعةً له ... تُفارقهُ هَلْكَى وتلقاه سُجَّدا
وتُحيي له المالَ الصَّوارمُ والقَنا ... ويقتُلُ ماتحيي التَّبسُّمُ والجَدَا (١)
وَصُولٌ إلى المستصعبات بخيله ... فلوكان قَرْنُ الشمس ماءً لأوردا

ومن قوله فى رثاء أبى شجاع :

الحزن يُقلِق والتَّجَمُّلَ يَرْدَعُ ... والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ (٢)
يتنازعان دُموع عَين مُسهَّد ... هذا يجيء بها وهذا يرجع (٣)
أين الذى الهَرَمان من بُنيانه ... ماقَومُهُ مايومُه ما المَصرَع
تتخلَّفُ الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فَتَتْبَعُ
لم يُرْضِ قلبَ أبى شجاع مَبْلَغٌ ... قبل المماتِ ولم يسعه مَوضع
مازلتَ تدفع كل أمر فادحٍ ... حتى أتى الأمرُ الذى لايُدفَع (٤)
مَنْ للمَحافل والجَحافل والسُّرى ... فقَدَت بفقدك نَيِّراً لايَطلُعُ
قُبحاً لوجهك يازمان فإنَّهُ ... وجه له من كل قبح بُرقُعُ

ومن حكمه :

ذو العقل يَشقى فى النعيم بعقله ... وأخو الجَهالة فى الشقاوة يَنعَمُ

---

(١) الصوارم : جمع صارم : السيف القاطع ، والقنا جمع قناة : الرمح ، والجدا : العطاء (٢) التجمل : التصبر ، يردع : يكف (٣) المسهد الذى حمل على السهاد الذى هو السهر (٤) الفادح . الثقيل

لايَسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ
والظلمُ من شِيَم النفوس فان تجدْ ذا عفَّة فلعلَّة لايَظلم
ومن البَلِيَّة عَذْلُ مَن لايَرعَوى عن غَيِّه وخطابُ من لايَفهم
ومن العَداوة مايَنالك نَفعُه ومن الصَّداقة مايَضُرُّ ويُؤلم

أبو العَلاء المَعَرِّى

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنُوخىّ[1] نسبا ، المَعَرِّىّ مولدا نشأته وحياته — ولد أبو العلاء سنة ٣٦٣ هـ بمَعَرَّة النعمان[2] فى بيت علم وقضاء ولم يكد يتسنم الثالثة من عمره حتى أصابه جُدَرِى ذهب ببصره. تعهده والده فأقرأه القرآن وعلمه من اللغة والأدب مافيه الغَناء. وأخذ عن كثير من علماء عصره حتى أصبح واحد زمانه ثم أخذ يأوى إلى الورَّاقين ويحفظ كل ماضمت صحائفهم من علم وأدب. ثم غادر المَعَرَّة إلى بعض بلاد الشام فزار طرابلس وأوَى إلى مكتبتها[3] فوعى الكثير الجم من علمها وذهب إلى اللاذقية وبها دير للرهبان فأقام بين أهله حتى درس العهدين القديم والحديث. ثم سار يتغلغل فى أرجاء الشام. ويهبط مدائنه، وشأنه يعظم، وذكره يستطير حتى ألقى عصا التسيار ببغداد

(١) نسبة الى تنوخ وهى بطن من بطون قضاعة (٢) بلدة بين حماة وحلب أضيفت الى النعمان بن بشير الصحابى لأنه اجتاز بها فدفن بها ولدا له وأقام بها

(٣) هى دار آل عمار وقفت على أهل العلم وكانت يومئذ من أحفل مكاتب الشرق وأجمعها لكتب المنطق والفلسفة حرقها الصليبيون عند استيلائهم عليها

رغبة فى درس الحكمة اليونانية ، والفلسفة الهندية . فوردمنها مورد الاجلال من عظمائها وعلمائها . ولم تكد علائقه تتوثق بالبغداديين ويغترفون من أدبه حتى فاجاه نعى أمه فنالت منه هذه النازلة ، واضطربت حياته ثم بدرت منه هَنَة أغضبت السيد المرتضى [1] فلم يستقم أمره ببغداد ونظر إلى العالم بمنظار أسود ، فاعتزم ، العزلة ، والخروج عن الدنيا ، وعاد إلى المَعَرَّة ولم يبرح منزله ، ونَسَك ، وجانب الناس إلا ما كان من لقاء تلاميذه ، ومجاذبة أهل الفضل من العلماء . وبقى مكبا على التدريس ، والتأليف ، ونظم الشعر . مكتفيا بثلاثين دينارا تأتينه كل عام له نصفهن ولغلامه نصفهن ولم تزل تلك حاله حتى مات سنة ٤٤٩ هـ

أخلاقه — كان أبو العلاء أبىّ النفس ، رقيق القلب ، وفيًّا ، قامعا لشهواته سيء الظن بالناس . بعيدا عن الازدلاف إليهم ، زاريا على مظالمهم ، واجدا على القدر وقسمه ، والدهر وصروفه ، قوى الذاكرة ، آية فى الذكاء ، وسرعة الحفظ . يجيد لعب النَّرْد والشِّطْرَنْج . قال الشعر لاحدى عشرة سنة . ومكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم تفاديا من ايلام الحيوان . سمى نفسه رهن المَحْبِسَين : محبس العمى . ومحبس المنزل . وعاش عزبا حتى مات وأوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبى علىّ م وما جنيتُ على أحَدْ

(١) هو أبو القاسم على بن الحسين أخو الشريف الرضى وهو صاحب (أمالى السيد المرتضى) وتوفى سنة ٤٣٦ هجرية

دينه — للناس فى اعتقاد أبى العلاء أقوال . والظاهر أنه كان شاكا فلم يكن مؤمنا صافى اليقين بل كان رجلا قد اختلط عليه الأمر فهو طورا مؤمن وطورا مرتاب يقول شيئاً ، ويخفى وراء أسلوبه أشياء . فجاء كثير من شعره يناقض بعضه بعضا . وهـذا سبيل من سار فى الدين بعقله . وانتقد مالم يدركه منه بفكره

شعره — أخرج أبو العلاء نوعين من الشعر : أحدهما شعر النقد والفلسفة وما إليها . وقد قاله فى كبره ، وأودعه ديوانه المسمى باللُّزوميَّات[1] . فجاء شعر هذا النوع محشوا بالألفاظ الغريبة ، نابيا عن الأساليب الرائعة ، ممتلئا بصنوف من البديع بالرغم عما فيه من فكر نابه وحكمة سامية ثانيهما — شعره فى بقية الأغراض الأدبية عدا الخمر والمجون والهجاء . وقد قاله فى شبابه وضمنه كتابه سِقط الزَّنْد . قلد فى هذا الصنف أبا الطيب ، واستمد منه أكثر معانيه ، واستخف فيه بقواعد اللغة ، وجارى شعراء عصره فى المحسنات ، واستعمل الغريب ، وأكثر من اصطلاحات العلوم . فجاء هذا النوع . كثير المبالغة ، واضح التقليد ، كثير التكلف . وسلم له منه قصائد مختارة فى الفخر والرثاء والمديح

أبو العلاء وأبو الطيب — تخرج أبو العلاء على شعر ابى الطيب ، وتَشَيّع له ، واتهم خصومه . وهو وإن لم يبلغ شأوه فى نباهة الحكمة ، وحسن

(١) سماه بذلك لالتزامه فى رويه حرفين على خلاف ما نهجه الشعراء قبله

الوصف، وسماحة الطبع . لكنه اختص دونه بالأخيلة الدقيقة، وتصريف القول فى أنواع الفلسفة، ووسائل الاجتماع وأحوال البشر، وأنظمة الحكومات، والأديان، والقوانين . بل أبو العلاء واحد الشعراء فى هذا السبيل

نثره — ترك أبو العلاء نثرا مفعما بالغريب، مثقلا بالسجع، والجناس وكثرة الاصطلاحات العلمية، وحكم فيه الفلسفة . ولم يخل من غموض وتطويل

آثاره — ترك أبو العلاء طائفة من الكتب منها سقط الزَّنْد، واللزوميات والدَّرْعيات، ورسالة الغفران، ورسالة الملائكة، وديوان رسائله، ومعجزة أحمد شرح ديوان المتنبى . وعبث الوليد . شرح ديوان البحترى، وذكرى حبيب . شرح ديوان أبى تمام وغير ذلك مما ذهبت به الحروب الصليبية كذلك فقد كتاب الأيك والغصون فى مائة مجلد . ومن جيد قوله فى الفخر:

لىَ الشَرَف الذى يَطَأ الثُّرَيَّا ... مع الفضل الذى بَهَر العبادا
وكم عَين تُؤَمِّل أن تَرانى ... وتَفْقِدُ عند رؤيتىَ السوادا
ولو ملأ السُّهَى عَيْنَيه منى ... أَبَرَّ على مَدَى زُحَلٍ وزادا (١)
أُفُلُّ نوائب الأيام وحدى ... إذا اجتَمَعَت كتائبها احتشادا (٢)

(١) السهى : كوكب خفى . وزحل: كوكب بعيد من المؤثرات
(٢) الفل : الكسر، والاحتشاد : الاجتماع، والكتائب جمع كتيبة : وهى القطعة من الجيش، وجماعة الفرسان الى نحو الألف

ولو أن النجوم لدىّ مالٌ نفَت كَفَّاى أكثرَها انتقادا

ومن جيد قوله فى الرثاء:

صاحِ هذى قُبُورُنا تَملأ الرُّحْـــبَ فأين القبور من عَهْد عَاد

خفِّف الوطْءَ ماأظن أديم الْـ أَرْض إلَّامن هـذه الأجساد

وقبيحٌ بنـا وإن قَـدُم العهـــدُ هوانُ الآباء والأجـداد

سِرْ إن أَسْطَعْتَ فى الهواء رُوَيداً لا اختيالًا على رُفَات العباد

رُبَّ لحدٍ قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد

ودفينٍ عـــلى بَقـايا دفين فى طويل الأزمان والآباد

فاسأل الفَرقَـدَين عمَّن أحَسَّا من قَبيلٍ وآنسا من بلاد (١)

تَعَبٌ كلهـا الحيـاة فمـا أعْـــجَبُ إلَّا من راغب فى ازدياد

وقال ينعى على الحكام استبدادهم بالرعية وعبثهم بها:

مُلَّ المُقامُ فكم أُعاشر أُمـةً أمِرَت بغير صَلَاحها أمراؤُها

ظلموا الرَّعيةواستَجازوا كيدَها وعَدَوْا مصالحها وهم أُجَراؤها

بَهاءُ الدين زُهَيْر

هو أبو الفضل زهير بن محمد بن على بن يحيى المُهَلَّبىّ الأزْدِىُّ نشأته وحياته — ولد بهاء الدين سنة ٥٨١ هـ بوادى نخـلة على مقربة من مكة ونقل إلى مصر، ونشأ بها وتعلم علوم الدين وخاصة الحديث ثم علوم

(١) الفرقدان: نجمان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر)

العربية وآدابها حتى فاق أترابه فى الخط والانشاء وكانا له خير معوان على اتصاله بالملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ورافقه إلى الشام وأقام بها حتى أخذ الملك مدينة دمشق فانتقل معه إليها إلى أن دارت رحى الحرب بينه وبين ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكَرَك وتغلب الثانى على الأول واعتقله على أثر موقعة خذله فيها قواده ، وتألبت عليه جنوده . فلم ينقض بهاء الدين عهد صاحبه ، ودعاه الوفاء ألّا يخدم غيره فأقام بنابلس حتى نهض الجد بمولاه ، واسترد ملك الديار المصرية فأعاد بهاء الدين إلى خدمته ، وحفظ له ولاءه ووفاءه فاتخذه وزيره وموضع سره وأصبحت له المكانة عنده فنفع كثيرا من الناس بشفاعته وما زال معه حتى مات الملك الصالح فلزم بهاء الدين داره حتى حدث بالقاهرة وباء مات به سنة ٦٥٦ هـ

أخلاقه — كان بهاء الدين دمث الأخلاق ، سهل الطباع رقيق العواطف ، حلو الكلام ، حسن المعاشرة ، فَكِهًا ، أليفا ألوفا

شعره — أثَّرت أخلاق بهاء الدين فى شعره فجاء سهل النظم ، رقيق اللفظ عذب الاسلوب يطمع سامعه فى الاتيان بمثله لخفته فاذا حاوله عجز عنه لطلاوته ، وجاءت معانيه سطحية لا تعمق فيها ولا إبداع لم تَعدُ خواطر نفوس العامة ، وخواطرهم . غير أنه بث فيها من روحه : قوة التأثير ، وسهولة اللفظ وحلاوة العبارة فسمت إلى مرتبة المعانى المبتكرة ، والأخيلة المبتدعة . أحسن فى بعض أبواب الشعر كالغزل ، والعتاب ، ووصف الخمر ومجالس الشراب

والطرب ولم يكن له حظ الاجادة فى سواها — ومن قوله فى الغزل :

ومُشَبَّهٍ بالغُصْن قَلْبى لايزال عليه طائرْ
حلو الحديث وإنها لحلاوة شَقّت مَرائرْ
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكرْ
لاتُنكروا خَفَقَان قلبى والحبيب لدىَّ حاضرْ
ما القلبُ إلا دارُه ضُربت له فيها البَشائرْ

وقال فى الحث على الصبر وكان فى سفينة فغرقت ونجا بنفسه :

لاتَعتب الدهر فى خَطْب رماك به إن اسْتَرَدَّ فقد ما طالما وَهَبَا
حاسِبْ زمانك فى حالَىْ تَصرفه تجده أعطاك أضعاف الذى سلَبَا
والله قد جعل الأيام دائرة فلا ترى راحة تَبقى ولا تعبا
ورأسُ مالك وهى الرُّوح قد سَلِمَت لا تأسَفَنَّ لشىء بعدها ذهبا
ما كنتَ أول مَفْدُوح بحادثة كذا مضى الدهر لابدْعاً ولا عجَبا
فرُب مالٍ نما من بعد مَرْزِئَة أما ترى الشمع بعد القَطْف مُلتَهِبا[1]

ومن قوله فى الاعتذار عن لقاء بعض أصحابه :

على الطائر المَيمون ياخير قادم وأهلا وسهلا بالعُلا والمكارم
قدمتَ بحمد الله أكرَم مَقدَم مَدى الدهر يبقى ذكره فى المواسم
أمَولاى سامحنى فانك أهله وان لم تسامحنى فما أنت ظالمى

(١) رزئه ماله ، وزأه ماله بفتح اللام رزءا ومرزئه : نقصه

ووالله ما حالت عهود مودّتى وتلك يمين لست فيها بآثم
مقيمٌ وقلبى فى رحالك سائرٌ لعلك ترضاه لبعض المراسم
ولو كنتَ عنه سائلا لوجدتَه على بابك المحبوب أول قادم
وإلّا فسل عنه ركابَك فى الدُّجى فقد بريَت من لثْمه للمناسم(١)

الخـــط

علمت فى العصر السالف أن المستعمل من الخط نوعان: الحجازىّ والكوفىّ. أما فى هذا العصر فقد تنوع الخط الكوفى إلى أنواع زادت على خمسين نوعا. من أشهرها المربّع والمشجّر، والمحرر، والمدوّر والمتداخل وبقى مستعملا، فى المبانى. والسّكة إلى ما قبل الألف سنة بقليل. ثم نُسى جملة إلا أنه جدِّدت منه أنواع فى عصرنا هذا

تاريخ الخط المستعمل الآن — استنبط قطبة المحرر(٢) أساس هذا الخط من الخط الكوفى فى أواخر الدولة الأموية. واخترع القلم الجليل(٣)

(١) المناسم جمع منسم بكسر السين وأصله طرف خف البعير. وقيل هو للناقة مثل الظفر الانسان (٢) نشأ فى أواخر الدولة الأموية واشتهر بحسن الخط حتى كان أكتب أهل زمانه (٣) قلم كبير أوسع الأقلام مساحة فى عرض قطته يكتب به فى المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وكان يتخذ من الجريد الأخضر ثم اتخذ من القصب الفارسى وأهل مصر اتخذوه من البوص الأبيض الغليظ المجلوب من جزائر الصعيد ولابد فيه من ثلاث شقوق

وقلم الطُّومَار [١] . ثم جاء بعده من كتاب الدولة العباسية من حسّن عمله حتى ظهر . إبراهيم الشِّحْرى، وأخوه يوسف فى أواخر القرن الثانى فَولّد إبراهيم من الجليل: قلم الثلثين (أى ثلثى الطومار) وقلم الثلث (أى ثلث الطومار) وولد يوسف من الجليل القلم الرياسى [٢] . وعن إبراهيم الشِّحْرى أخذ الأحول المُحَرِّر [٣] وعنه أخَذ الوزير ابن مُقْلَة ، وأخوه عبد الله الحسن بن مقلة المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على يديهما هندسة خط النسخ ، والجليل وفروعه على الأشكال التى تعرف الآن وهما اللذان أتمـا العمل الذى بدأ به قطبـة . فهندسا الحروف ، وقدّرا مقاييسها ، وأبعادها وضبطاها ضبطاً محكما واخترعا القواعد . وعن ابن مقلة أخذ محمد بن أسد القارى المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبوالحسن على بن الهلال البغدادى المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذى أكمل قواعد الخط ، واخترع عدة أقلام ، وبلغ الغاية فى إجادة الخط

---

(١) هو أصغر أنواع الجليل وأقل ماتكون مساحة رأسه عند القط ٢٤ شعرة من شعر البرذون بعضها بجانب بعض أوثلاثة ملليمترات والطومار الورقة الكبيرة لم يقطع منها شىء (وتسمى الآن فرخ ورق)

(٢) نسبة الى الفضل ذى الرياستين وزير المأمون . وهو قلم التوقيع

(٣) هو من صنائع البرامكة وهو الذى اخترع قلم النصف (أى نصف الجليل) وخفيف الثلث ، وقلمـا متصل الحروف بعضها ببعض وسماه المسلسل، وقلمـا مقصوعا سماه الجوانحى وقلمـا سماه غبار الحلبة يكتب به بطائق الحمام ، وقلم القصص . وقد رتب الأقلام وجعل لها نظاما الا أن خطه مع رونقه وبهجته لم يكن مهندسا

وتدوينه وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته . ثم جاء بعدهما ياقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ هـ ، وياقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وسار الخط فى الطريقة التى مهدوها واستعملت أكثر أنواعه . غير أن المشتهر منها ما يلى :—

(١) الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا الآن) وتشاهد نماذجه على جُدران مساجد القاهرة ومدارسها ، وآثار قصور أمرائها

(٢) قلم الطُّومار (على قاعدة الثلث أيضا) وكانت تكتب به أسماء السلاطين ، وعلاماتهم على المنشورات والعهود

(٣) قلم الثلث . (و يشبه قلم الثلث عندنا) ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى الآن بالريحانى

(٤) النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه كان معلق الأطراف إلى فوق وكانت تكتب به كتب العلم والأدب

(٥) التعليق و يطلق على الثلث الخفيف مع تعليق خراطيم الحروف إلى أعلى

(٦) قلم الرِّقاع . وكان وسطاً بين النسخ والتوقيع . وكانت تكتب به كتب العلم والأدب والرسائل

(٧) القلم المسلسل المشتبك الحروف . وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف وغيرها

(٨) الخط الفارسى . وكان استعماله عاماً فى أواسط آسيا وفارس ذلك كان شأن الخط فى البلاد الشرقية ومصر والشام . أما أهل الاندلس والمغاربة فلم يعبئوا بهذا التقدم ، وذلك الاصلاح . بل ظلوا يكتبون على طريقة الخط الحجازى بنوع تحسين وتعديل ، ويسمى الخط الذى كان مستعملا لديهم بالخط الأندلسى ، وكانت أنواعه لاتختلف إلا بالصغر أو الكبر ، وكان القلم الجليل يميل عنه إلى بعض قواعد الثلث فى أواخر عهدهم كما يُشاهد على جُدران الحمراء بغرناطة

وما زال الخط بعد ذلك يجرى فى ميدان تقدمه حتى قبض على زمامه كتبة الترك العثمانيون ، فحولوا بعض أنواعه وخاصة قلم الرقعة الى ما نعرفه الآن وارتقوا بالمسلسل إلى الغاية المرجوة منه ، وولدوا منه الخط الهمايونى (العلامة السلطانية) وأبدعوا فى بقية الأنواع بما جعل العالم يعترف لهم بالفوز وإحراز قصب السبق . وإمامهم ورئيسهم حمد الله الأماسى . ومن أشهرهم . الحافظ عثمان

ابن مُقْلَة

هو أبو على محمد بن الحسن بن مقلة

نشأته وحياته — ولد ابن مقلة ببغداد سنة ٢٧٢ هـ ونشأ بها وأخذ الخط عن الأحول المحرر وكان فى أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبى خراجها فتقلبت به الأحوال إلى أن استوزره المقتدر بالله ثم

كادله أعداؤه فقبض عليه وصادر أمواله الكثيرة، ونفاه إلى فارس. ثم دالت الأيام وصار وزيرا للراضى بالله ثم وشى به حاسدوه فقبض عليه وعزل. ثم حدا به نحس طالعه على الكيد لابن رائق [1] عند الخليفة الراضى بالله فأفشى الخليفة سره لابن رائق فقبض عليه وقطع يده اليمنى فقال ابن مقلة: يد خدمتُ بها الخلفاء. وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص! ثم ندم الراضى وأمر الأطباء بملازمته حتى بَرأ. ثم تغالى ابن رائق فى الكيده وتعذيبه حينما أحسَّ مطالبته بالوزارة فكانت عاقبة ذلك أن قطع لسانه، وأقام فى الحبس مدة طويلة لاقى فيه عناء شديدا. [2] ولم يزل فيه حتى مات سنة ٣٢٨ هـ

خطه وآثاره — ابن مقلة إمام الخطاطين، وأحد كبار الكتاب البارعين كان يضرب به المثل فى حسن الخط

قال الشاعر:

فصاحة سحبانٍ وخط ابن مقلةٍ وحكمة لقمانٍ وعفة مريم

ويقول فى خطه الوزير الفقيه أبو عبيد الله البكرى الأندلسىّ:

خَطُّ ابن مقْلَةَ مَن أرْعاه مُقْلَتَه ودَّت جوارحُه لو أصبحت مُقلَا

فالدر يَصْفَرُّ لاسْتحسانه حَسداً والورد يحمرُّ من إبداعه خجَلا

(١) هو حاجب ابن رائق أمير الأمراء ببغداد والمتصرف فى الأمر كله فى عصر الخليفة أحمد الراضى بالله

(٢) فقد كان يستقى الماء من البئر بنفسه فيجذب الرشاء بيده جذبة و بفيه أخرى

لم يقعده مانزل به من المحن عن الجد فى تحسين الخط ، والعمل على ترقيته فقد كان بعد قطع يده يشد القلم على ساعده ويكتب به . وهو الذى أتم مع أخيه ما بدأ به قطبةُ من تحويل الخط الكوفى إلى الشكل المعروف فى زماننا ، وهو أول من هندس الحروف ، وقدر مقاييسها ، وأبعادها بالنَّقْط وضبطها ضبطا محكما . وله فى قواعد الخط رسائل وتآليف حسنة . وعنه انتشر الخط البديع فى مشارق الأرض ومغاربها — ومن قوله فيما حدث له :

إذا مامات بعضُك فابْك بعضاً فان البعض من بعضٍ قريبُ

ماسئمتُ الحياة لكن توثَّقـت بأيْمانهم فبانَت يمينى
بعتُ دينى لهم بدُنياى حتى حَرَمُونى دُنياهُم بعد دينى
ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدى حِفظ أرواحهم فما حفظونى
ليس بعد اليمين لذة عيشٍ ياحياتى بانت يمينى فبِينى

الحافظ عثمان

نشأته وحياته — هو الحافظ عثمان بن على . ولد بالأستانة من أب مؤذن بجامع (خاص كوى) ونشأ بها وتعلم فى مدارسها وحفظ القرآن الكريم . فلُقِّب بالحافظ لذلك . ثم اتصل بالوزير مصطفى باشا الشهير (بكبريلى زاده) فأظله برعايته مدة من الزمن وحبب إليه تجويد الخط من صغره فكان لذلك يختلف إلى أشهر الخطاطين فى عصره . وتعلم النسخ والثلث على المرحوم درويش على . ثم أمره أستاذه درويش أن يتعلم من

(صيولجى زاده) فاستمر فى التعليم عليه حتى حصل على إجازة تعليم الخط ولم يتجاوز عمره ثمانى عشرة سنة ولم يكتف بذلك بل سمت نفسه إلى محاكاة أسلوب إمام الخطاطين ورئيسهم المولى حمد الله الأُماسى . فانقطع إلى مَن يجيد طريقته . وهو السيد اسماعيل حتى أصبح نابغة عصره وشهد له الكثيرون من أفاضلهم[1] وفى سنة ١١٠٦ هـ اختير معلم خط للسلطان مصطفى خان الثانى والسلطان أحمد خان الثانى ونال بذلك الحُظوة الكبرى والمرتبة السامية . وفى آخر حياته أصيب بداء الفالج لم يطل عمره بعده سوى ثلاث سنين كان فى أثنائها يشتغل بالخط ويعهد بقط قلمه إلى (جبينجى زاده عبدالرحمن) وتوفى بالأستانة سنة ١١١٠ هـ ودفن برباط (قوجه مصطفى باشا)

أخلاقه — كان الحافظ عثمان مثال النزاهة والزهد ، والتواضع . لم تحل منزلته الرفيعة دون إخلاصه وانكبابه على تعليم تلاميذه ولو على قارعة الطريق . فكان يخص يوم الأحد بتعليم الفقراء مجاناً . ويوم الأربعاء بتعليم الأغنياء . ومع فضله ونبوغه لم يسلم من اعتراض حاسديه عليه : بأن كافاته ، وميماته الأفقية قصيرة ، وأن تعاريج الميم والراء منخفضة

آثاره — وللحافظ عثمان عظيم الفضل على الخط العربى بما كتبه

(١) قال فيه اسماعيل أفندى المعروف (باغا قبولى) أحد الخطاطين المشهورين اننا بالرغم من تجويدنا هذه الصناعة لانرى من يستحق لقب خطاط مع الاطلاق سوى مولانا عثمان

من المصاحف التى بلغت ٢٥ مصحفا غير الرِّقاع (الأمشق)، والألواح، وأجزاء القرآن، ودلائل الخيرات. فقد نقل بعض ذلك بالتصوير الشمسى. وذاع فى الأقطار الاسلامية. وطبع منها مئات الألوف. وحاكاه فيها من لايحصى من المعلمين. ثم جرى على سننه من جاء بعده وأولهم عثمان عبد الباقى أحد خطاطى الأتراك. وكان يطلى له أكثر كتاباته بالذهب ابن أخيه محمد شلبى - ومن المصاحف والرقاع التى خطت بيده مصحف ومرقع حفظا بجامع أياصوفيا. ومصحف آخر بالنَّقْط (أى كتبت حروفه ومعها النقط الدال على مقاديرها وأبعادها ومقاييسها) وهو محفوظ بخزانة جامع نور عثمانية وله عدة رقاع محفوظة بالمكتبة النورية بدرب الجماميز رقم ١٠٣

العصر الخامس — عصر النهضة الحديثة

اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر

اضمحلت اللغة أوائل القرن الثالث عشر الهجرى، وقصرت عن قيامها بحاجات أهلها، وزاد فى خمودها ذهاب ما كتبه المتقدمون. بعضه بالاحتراق، وبعضه بالنهب والاجتياح حتى كادت تتوارى فى أجداث الزوال والفناء لولا بليل من نسيم الحياة كان يهب عليها من الأزهر الشريف فيفيض عليها من ماء الوجود ويهبها من روح البقاء

فلما استولى محمد على باشا على مصر أخذ فى اقتباس أسباب المدنية

الحديثة التى سرت إلى الشرق قبيل استيلائه . ليبنى ملكه على الأساس الذى شيد عليه سلطان الأوربيين . فاستعان ببعض علماء فرنسا [١] على إدخال تلك المدينة فى بلاده . ثم رأى . تحقيقا لغايته : أن يربى من أبناء البلاد وجالية الترك والألبان من يكون خير واسطة لنقل معارف الأوربيين إليها فبعث إلى أوروبا بثلاث بعوث علمية فى أزمنة مختلفة [٢] أنجبت من العلماء والاطباء والمهندسين والضباط من نقلوا إلى اللغة العربية كثيرا من الكتب الجليلة فى العلوم المختلفة فحدث بذلك انقلاب عظيم فى اللغة وآدابها اكتسبت منه سعة فى الأغراض ، والمعانى ، والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية ، وعهد إلى هؤلاء العلماء والأدباء ، ومن تقدمهم ومن جاء بعدهم إنشاء المدارس الكثيرة ، والمصانع الوفيرة ، وظهر فى الدولة كتاب وشعراء نهضوا باللغة وآدابها ، وأصبحت العربية اللغة الأساسية : فى التعليم ، والادارة ، والسياسة

أثر الأزهر — وقد كان من الأزهر المعمور كل المدد الذى استمد منه محمد على باشا اتربية تلك البعوث العلمية ، وتدريس العلوم العربية بالمدارس . وهذه يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة ساعدتها على النهوض

(١) منهم الدكتور كلوت بك مؤسس المدرسة الطبية ، وجومار بك مدير الارسالية المصرية

(٢) ابتدأ سنة ١٢٤١ هـ بارسال أول بعث . كان الشيخ رفاعه الطهطاوى على هذا البعث اماما له يذكره بشعائر الدين ثم والى البعوث حتى بلغوا سنة ١٢٥٨ هـ (١١٤ طالبا)

كما حماها قبل من العفاء والزوال

أما سائر العالم العربى فلم يُتَح له النهوض باللغة وآدابها. اللهم إلا أهل الشام فانهم اقتدوا بمصر وحدثت لديهم نهضة أدبية اجتماعية صادفت امتداد نفوذ دعاة المسيحية من الأمريكان واليسوعيين وغيرهم. فهاجر كثير من السوريين إلى مصر، وانتظم فى سلك الحكومة والمدارس المصرية، ودخل كثير من نصاراهم مدارس الدعاة الذين كان أكثرهم من المستعربين العارفين باللغة العربية. فدرسوا العلوم، وألفوا الكتب باللسان العربى، ونبغ من مدارسهم رجال أخذوا بناصر اللغة حتى غدوا زهرة سوريا، وغلب عليهم الأدب: من الشعر، والكتابة، وترجمة الروايات الأدبية، واتخذوا ذلك صناعة لهم يتكسبون بها فى مصر والشام فعاد ذلك على القطرين بالتقدم: فى الفصاحة، وسعة الخيال، وحرية الفكر، والادارة. غير أن ذلك التقدم لم يستمر فى مصر كما استمر فى الشام، فانه لما صارت ولاية مصر إلى عباس الأول ثم لابنه سعيد. وهَنَت عوامل النهوض. وتوقفت الحركة الفكرية، وأُقفِلَت أكثر المدارس المصرية، ولكن حالما تولى الخديوى إسمعيل باشا أعاد سيرة جدِّه فى نشر العلم فافتتح المدارس (١) والمكاتب وكثرت فى أيامه المطابع والمصانع والصحف وغيرها، واتخذ

(١) ومن أفضل ما أنعم به على مصر انشاؤه المكتبة الخديوية (المكتبة الملكية الآن) واقامته مدرسة دار العلوم بارشاد المرحوم على مبارك باشا سنة ١٢٩٢ هـ

من رجال البعثات العلمية الذين رباهم جده : المدرسين ، ورؤساء الادارة ، وزاد عليه فى إرسال البعثات العلمية إلى كثير من ممالك أوروبا ، وأنشأ نظارة للمعارف عهد إليها بتنظيم المدارس على طريقة جديدة ، وأصبح التعليم غير محصور فى تخريج الموظفين بل يراد به مع هذا ترقية نفوس الأمة واحياء آداب العرب ، وحدثت فى أيامه نهضة أدبية بمن وفد على مصر من رجال الأدب من كل الطوائف

وبعد الاحتلال حدث انقلاب فى نظم التعليم وقلت العناية باللغة العربية رويداً رويداً . ولكنها منذ عهد قريب استرجعت مكانتها ، وسارت فى مناحى التقدم . ووفرت أسباب نهوضها وستستمر كذلك ويزداد نماؤها إن شاء الله

نهضة اللغة العربية فى هذا العصر وأسبابها

ابتدأت هذه النهضة بدخول الفرنساويين مصر عام ١٢١٣ هـ وتقلبت على أطوار اختلفت باختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية وانتقل العالم العربى انتقالا لم يُعهد له مثيل . فقد أتى ذلك النابغة العظيم (نابليون بونابرت) مع حملته بحملة علمية فيها طائفة من العلماء كانوا نواة صالحة فى بدء غرس هذه النهضة المباركة . فقد أخذوا فى تأسيس المعاهد العلمية ، ونشر المدنية الحديثة ، وأقاموا المصانع والمعامل للورق والأقمشة ، وبنوا أماكن للأرصاد الفلكية والرياضيَّات ، وأتوا بمطبعة عربية . سموها المطبعة الأهلية وأوجدوا مكتبة علمية عامة حوت كثيرا من الكتب

العربية وأفردوا للاشتغال بكل علم دارا ، وكانت الآداب العربية فى أثناء ذلك قاصرة على العلوم الاسلامية التى تدرس فى الأزهر الشريف واشتهر من علمائها إذذاك أمثال الشيخ عبدالله الشرقاوى (١) والشيخ محمد المهدى (٢) ثم جاء محمد على باشا . فكان له الفضل الأكبر فى هذه النهضة ، والعمل على تعميمها ، ثم سلك إسماعيل باشا سبيله من بعده . فنما غرسها ، وأينع ثمرها ، وأنشئت المدارس المتنوعة ، وتعددت دور الكتب العامة والخاصة ، وتقدمت الطباعة تقدماً كفل القيام بحاجة تلك النهضة . فقامت للآداب سوق نافقة ، ونهضة أثّرت أحسن أثر ، ونبغ من العلماء والأدباء رجال صرفوا وافر ذكائهم إلى كل عمل أدبى يعود به للبلاد مجدها وسؤددها التالدان ، ونشروا العلوم والمعارف بين طبقات الأمة وترجموا من اللغات الأجنبية الوف الكتب والروايات والمقالات العلمية إلى العربية فاستفاد منها من لا يعرف اللغات الأجنبية علما وافرا ، وأدبا غزيرا . فأَثْرَت اللغة العربية ، وحصُفَت أفكار أهلها ، واتسع مجال البيان أمامهم ، وتعددت مذاهبه لديهم فاصبحت بمصر حركة علمية واسعة النطاق دامت وستدوم القرون إن شاء الله — وقد سبقت مصر والشام غيرهما من سائر البلاد

(١) تعلم بالأزهر وارتفع شأنه حتى صار شيخه وكان له مع الفرنسيين أشرف المواقف حتى أسندوا اليه رياسة الديوان الذى شكل لادارة شئون البلاد . ألف فى فقه الشافعى والتاريخ عدا الشروح والحواشى والتقارير وتوفى سنة ١٢٢٧ هـ

(٢) تعلم بالأزهر وترقى فى المناصب حتى صار شيخا له وكان من أعضاء الديوان الخصوصى . ألف تحفة المستيقظ الآنس وتوفى سنة ١٢٣٠ هـ

العربية ، وسار اشوطاً واسعاً فى ميدان تلك النهضة .ثم اقتفى أثرهما العراق والحجاز واليمن والهند وتونس

أسبابها — وترجع الأسباب التى شيد عليها صرح هذه النهضة للأمور التالية : (١) اتصال المدنية الغربية بالمدنية الشرقية

(٢) الحرية الشخصية . التى هى صورة من صور النفس . سرت إلينا حينما أخذنا بأطراف هذه المدنية التى أساسها رفع شأن العامة ومساواة الناس فى الحقوق والواجبات على اختلاف طبقاتهم

(٣) ازدياد عدد المستعربين بأوروبا والشرق ، وسعيهم المتواصل فى إيجاد المطابع العربية ، وطبعهم فيها الكتب النفيسة ، واشتراكهم فى آداب اللغة ، ودرسها ، وتنقيبهم عن كتبها فى مظانِّها ، ونشرها ، والعناية التامة بتنقيحها ، وإحياء الجمعية الآسيوية الباحثة فى أحوال الشرق وعلومه

(٤) البعوث العلمية التى أرسلها محمد على باشا . ثم إسمعيل باشا ، إلى ممالك أوروبا لتلقى العلوم المختلفة ثم ازدياد تلك البعوث وتنوعها فى عصر ملك مصر العظيم « فؤاد الأول » وجارى مصر كثير من الممالك الاسلامية . أخذا بأسباب التقدم ، وقياماً بمقتضيات الحضارة

(٥) إيجاد المدارس النظامية المتعددة التى أنشأها المرحوم محمد على باشا بمساعدة الأساتذة الأوربيين . ثم بمساعدة العلماء المصريين . والمدارس التى أنشأها المغفور له الخديوى اسماعيل ، والاكثار منها . على اختلاف درجاتها ، ومن معاهد التعليم : فى مصر ، وكثير من ممالك الشرق

(٦) انتشار تعلم اللغات الأجنبية ، وجعل تعليمها إجبارياً بمصر والشام : فى مدارس الحكومة والجمعيات ، ومدارس الرهبان ، والدعاة . وماترتب على ذلك من نقل كثير من المعانى والأساليب الأجنبية التى يقبلها الذوق العربى ،

(٧) ايجاد المطابع العربيـة فى مصر [١] والشام والقسطنطينية والعراق والهند وتونس . وطبعها كثيرا من كتب العلم ، والأدب والمجلات ، والصحف السيارة

(٨) إنشاء الصحف والمجلات العربية بمصر والشام والقسطنطينية [٢]

(٩) تنظيم التعليم بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية وللشيخ محمد عبده أكبر الأثر فى ذلك

---

(١) دخلت الطباعة مصر على يد نابليون سنة ١٧٩٨م جاء بها لطبع المنشورات والأوامر بالعربية ثم ذهبت بذهابه فأقام محمد على باشا على انقاض مطبعته . مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م وتوالى انشاء المطابع وسارت فى سبل التقدم حتى بلغت الآلاف وفاء بمـا استدعاه التوسع فى العمران

(٢) أول جريدة عربية فى الشرق كله هى الوقائع المصرية . أنشأها محمد على باشا سنة ١٨٢٨م وصدر أول عدد منها بالتركية ثم عهد فى تحريرها الى الشيخ حسن العطار والشيخ شهاب الدين محمد بن اسماعيل بن عمر المتوفى سنة ١٢٧٤هـ فحررت بالعربية والتركية ثم اقتصر فيها فى الأزمنة الأخيرة على العربية ثم ظهر فى الشام جريدة (مرآة الأحوال) سنة ١٨٥٥ م ، وحديقة الأخبار سنة ١٨٥٨ م ، والجوائب بالأستانة سنة ١٨٦٠م وظهر أول جريدة سياسية بمصر هى وادى النيل سنة ١٨٦٦ م ثم صدر الاهرام والوطن والمحروسة والمقطم والمؤيد واللواء والشعب والأخبار والأفكار والسياسة والبلاغ والنظام ونظائرها

(١٠) المكاتب العربية (خزائن الكتب) فقد أخذت الحكومات والجمعيات فى جمع الكتب، وتقييدها، وحفظها، واستنساخ ماتعلم بوجوده منها فى البلاد الأجنبية. واقتدى الأفراد بهما فأخذوا فى اقتناء الكتب على اختلاف مواضيعها بين قديم وحديث

(١١) المتاحف العربية (مستودعات التحف) فانها وسيلة الى توسيع المعارف، وترقية الأذواق

(١٢) حدوث الأندية والجمعيات العلمية والأدبية لالقاء الخطب والمحاضرات [١]

(١٣) إحداث الشهادات الدراسية، واعتبار الحصول عليها شرطا فى خدمة الحكومة، والاحتراف بالحرف العلمية كالطب والهندسة والمحاماة

(١٤) تنظيم التقاضى والترافع منذ إنشاء المحاكم الأهلية فقد نجم عنه صناعة مستقلة. أداتها فصاحة اللسان، وقوة الحجة فى الخصومة. وهى صناعة المحاماة. ونشأ بجانبها نظير لها. هى مرافعة النيابة. واستتبعا الاجادة فى تحرير القُضاة صور الأحكام. فحدثت لغة قانون قضائية اكتسبت منها اللغة ثروة وافرة

(١) نشأ ذلك على أثر تنبه الأذهان الى الأمور السياسية زمن الخديوى اسماعيل وحينما تكاثر الأجانب، وتزايد الاحتكاك بالمدنية الأوربية ولا سيما بعد قدوم السيد جمال الدين الأفغانى الى وادى النيل، وانتشار روح السياسة الحرة فى نفوس الأدباء واتسع ميدان ذلك وكثر الخطباء والمحاضرون حينما أيقظت ثورة سنة ١٩١٩م: مابقى من شعور خامد ووجهت النفوس الى الحرية فى الحكم، والرأى، والقول

(١٥) حدوث فن التمثيل باللغة العربية . وأول ظهوره فى الشام ثم انتشر فى مصر . غير أنه لم يؤد الغرض المقصود منه لجهل أكثر الممثلين صناعته ، وضعفهم فى العربية الفصيحة . وسوء اختيار القصص المُمَثَّلة

اتصال المدنية الغربية بالمدنية الشرقية وتأثير ذلك فى اللغة

ابتدأ ذلك الاتصال فى سوريا أوائل القرن الثانى عشر للهجرة على أثر قدوم الارساليات الدينية ، وانشاء الرهبنات الكاثوليكية . ولكل منها أديار وكنائس ومدارس . نبغ فيها طائفة من العلماء أغلبهم من رجال الأكليروس أكثر مؤلفاتهم فى سبيل الدين . وكان للقليل منهم آثار أدبية أو تاريخية أو لغوية إلا أن كل ذلك لم يكن كافيا لاضاءة ذلك الجو المظلم حتى طرأ على الشرق كله طارئ تاريخى هام كان له تاثير كبير فى نهضته ذلك هو دخول الفرنساويين مصر والشام بقيادة (بونابرت) أوائل القرن الثالث عشر . أقام بونابرت بجنده ثلاث سنوات . أخذ خلالها فى نشر أسباب المدنية الغربية ثم تابعه محمد على باشا . لما رآه من آثاره ، وما شاهده من تقدمه . وساعد على انتشار تلك المدنية اتخاذ دعاة المسيحية من الأمريكان البروتستانت واليسوعيين وغيرهم : بلاد الشرق مجالا لأعمالهم ، وجعلهم اللغة العربية فى أول أمرهم : اللغة الرسمية لنشر تعاليمهم ، وآدابهم . غير أنه كان لعملهم فى سوريا أثر أبين منه فى مصر . فأنشأوا المستشفيات والمدارس

وانتظم فيها كثير من نصارى الشام . ونبغ منهم عدة طبقات كان لهم الفضل فى نشر اللسان العربى ، وتوسيع دائرته ، وعلومه ، وآدابه

تأثير ذلك الاتصال فى اللغة وآدابها :

أولا — لهذا الاتصال الفضل فى تقدم هذه النهضة الأدبية

(ا) بزيادته العوامل الداخلة فى ترقية العقول ، وتوسيع القرائح (ب) ونبوغ كثير من العلماء والأدباء الذين كان لهم الأثر الحسن فى تقدم اللغة وارتقائها (ج) ونقل العلوم الحديثة من اللغات الأجنبية سواء فى ذلك الطب والطبيعيات والرياضيات والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والحقوق وآداب الافرنج النثرية والشعرية (د) ازدياد عدد المستشرقين الذين عنوا أجد العناية بعلوم الشرق وآدابه ، ونقلوا كثيرا منها إلى لغاتهم ، وأحيوا كثيراً من الكتب العربية

ثانيا — وبهذا الاتصال اختلف هذا العصر عن سائر عصور آداب اللغة (ا) لأن الآداب العربية مازالت منذ ظهور الاسلام فى دائرة المدنية الاسلامية تتقلب مع أطوارها ولا تخرج عن دائرتها ، وتنمو نموا داخليا بما يدخل فيها من ثمار قرائح أبنائها مع مايقتضيه ناموس النشوء : من التوسع ، والتفرع . أما فى هذه النهضة فقد أتاها النمو من الخارج نقل اليها كما نقلت سائر أسباب المدنية الحديثة . وقلما كان لأبنائها من أثر بيِّن فى نهوضها (ب) ولأن ماترجم للآداب العربية من علوم القدماء فى صدر

الدولة العباسية لم يؤثر فى صبغتها إذ الدولة كانت يومئذ فى إبّان تكوينها وعُنفوان نشاطها فهضمت مادخل عليها من علوم الأمم الأخرى، وصبغته بصبغتها العربية الاسلامية — أما فى هذه النهضة فقد أثّرت المدنية الحديثة فى الآداب العربية، ودخلها كثير من أساليبها، وتراكيبها، وألفاظها لأن الدولة العربية قد أدركها الهرم فلم تقو على مدافعة تيار هذه المدنية فغلبت على أبنائها مع اختلافها عن مدنيتهم الاسلامية شكلا وأسلوبا، وجارتها المدنية الشرقية ولم تخرج عن دائرتها الخاصة بها، واضطر أبناؤها إلى السير مع هذه المدنية بالرغم عما أدهشهم منها لأول عهدهم بها، واستهجنوه

لغة المحادثة والكتابة والخطابة

لغة المحادثة

كانت لغة التخاطب أوائل هذا العصر هى العامية التى بلغت الغاية فى الانحطاط. ولما انتشر التعليم بين الطبقات دخل فى عبارات المتعلمين كثير من الفصيح، وجرى لسانهم بالتراكيب العربية الصحيحة. وانتقل ذلك لمعاشريهم من الأُمِّيين وبعض النساء، وساعد على ذلك. جعل التقاضى باللغة العربية الفصيحة، وكثرة الصحف والمجلات والروايات الأدبية وترقى أنواع الشعر العامى: من الزجل والمواليا والواو[1] حتى لقد بلغ الزجل

(١) هو نوع من الزجل ووزنه مثل بحر المجتث (مستفعلن فاعلاتن) أو فاعلاتان أربع مرات واخترع هذا النوع أواخر العصر الماضى وفشا كثيرا فى صعيد مصر فى صدر

فى عصر إسماعيل باشا ، وتوفيق باشا غايته ، واشتهر من رجاله أمثال المرحوم محمد عثمان جلال بك [١] والمرحوم السيد عبد الله نديم [٢] إلا أنه أخذ يضمحل فى عصرنا هـذا . لغلبة الشعر الفصيح عليـه ، وترفع كبار الرجال عن استماعه

الخـــطابة

ضاقت الدائرة الخطابية أوائل هذا العصر . فكان المصريون والسوريون لا يستعملونها إلا فى الأغراض الدينية بتراكيب مفككة ، وعبارات

العصر الحالى ومنه قول ابن عروس المتصوف

مسكين من يطبخ الفاس ويريد مرق من حديده
مسكين من يصحب الناس ويريد من لا يريده

(١) أديب مطلع على آداب الافرنج . ارتقى فى مناصب الحكومة الكتابية ، وتولى القضاء فى محكمة الاستئناف ، وصاحب الخديوى توفيق باشا فى سياحته فى القطر المصرى ، ووضع فيها أرجوزة ، وعرب بعض روايات فرنساوية . صاغ بعضها بلغة العامة والبعض الآخر فى شعر عربى . توفى سنة ١٣١٦ هـ

(٢) ولد بالاسكندرية ونشأ بها . وحينما هاجت الخواطر فى ولاية الخديوى توفيق باشا كان فى جملة المحرضين بالكتابة والخطابة فى الجمعيات السياسية وغيرها . حتى أصبح خطيب الثورة العرابية بما أوتى من سرعة البداهة وحسن البيان وشدة العارضة وقوة التأثير بالأساليب العامية والعبارات الفصيحة وأنشأ جريدة التنكيت والتبكيت ثم أبدلها بالطائف وكانت تصدر فى أثناء الثورة ولما حوكم العرابيون كان مختفيا ومضى فى اختفائه عشر سنين ثم ظهر وعفى عنه وأنشأ مجلة الأستاذ سنة ١٣٠٩ هـ ولم يمض عام على ظهورها حتى أبعدته الحكومة عن مصر فذهب الى الاستانة وأقام بها حتى توفى سنة ١٣١٣ هـ وله آثار شعرية كثيرة لم ينشر منها الا كتاب سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله نديم

منقولة ثم تعددت مقاصدها، وتهذبت أساليبها حينما اتسعت دائرة الأفكار فى عصر إسماعيل باشا، وعلى أثر مجىء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر (١) فقد التف حوله كثير من الأزهريين ولفيف من أدباء المصريين والسوريين وأدخلهم فى عداد جمعيته، وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها فى الأمور الدينية والأخلاقية ثم تعدت إلى الأمور السياسية، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر، وفشت زمن توفيق باشا، وولّدت رجال الثورة العرابية. ومن أشهرهم السيد عبد الله نديم، والشيخ محمد عبده وغيرهما وحينما أسست الجمعيات والأندية بمصر شغلت موضعا كبيراً فى عالم الخطابة وأكسبتها متانة الألفاظ، وسلاسة الأساليب حتى إذا ما نهضت الأمة للمطالبة بالحرية السياسية، وجدّت المناقشات الحزبية، واتسع مجال الحرية

(١) هو محمد جمال الدين بن صفدر ولد سنة ١٢٥٤ هـ ببلدة أسعد آباد من بلاد الأفغان وبعد اتمامه التعليم حصل على الشىء الكثير من العلوم الأوربية فى بلاد الهند ثم عاد الى الأفغان وباشر فيها أهم الشئون وأكبر المناصب. وزار مصر للمرة الثانية سنة ١٢٨٨ هـ وأقام فيها محترما. مشتغلا بالدراسة العلمية فالتف حوله كثير من الطلبة النجباء فدرس لهم فى بيته. وبث فيهم من أفكاره وتعاليمه. فكانوا أساس هذه النهضة الفكرية. وأكبر عوامل هذا التقدم. وأقام بالأفغان والهند وفارس. ورحل الى بلاد العرب وتركيا. وزار كثيرا من العواصم الأوربية وكتب فى جرائدها وخطب فى مجامعها وأنشأ مجلة العروة الوثقى. وكان نادر الذكاء منذ الحداثة شجاعا. مثابرا وكاتبا خطيبا ذا مواهب تجذب اليه قلوب الكبراء والعظماء. وتحبب فيه الناشئة الأذكياء. عاش ممتازا مؤثرا فى حوادث الشرق الاسلامى. متنقلا فى البلاد منذ طفولته متصلا بحركات النهوض فى كل بلد حل به وظل طيلة حياته مطاردا حتى توفى سنة ١٣١٤ هـ ومن آثاره رسالته فى الرد على الدهريين

الفكرية ، وكثرت الأندية الأدبية ، وتعددت المجامع العلمية . بلغت مبلغا عظيما ، وأصبحت فى حال زاهرة . لا تقل عما كانت عليه فى عصورها الزاهية

لغة الكتابة

الكتابة الخطية

انتهى الخط الى المستوى الذى رفعه اليه كتبة الترك ، وانتشر بأنواعه فى الممالك العثمانية ، وارتقى فى مصر ارتقاء عظيما . وكل من جاء بعد خطاطى الترك فقد اتبع طريقتهم ، وسار فى السبيل الذى مهدوه . وأشهر من نبغ فى هذا العصر : عبد الله بك الزُّهدى ، ومحمد مؤنس أفندى (١) ، ومحمد جعفر بك (٢)

---

(١) أخذ الخط عن والده ابراهيم أفندى مؤنس ، وتعلم عليه كثير من كتبة هذا العصر . ومن آثاره كتاب الميزان المألوف فى وضع الكلمات والحروف . كتبه بخطه وطبع على الحجر سنة ١٢٨٥ هـ ، والكتابة الموجودة على قبر والدة توفيق باشا بمدفن العائلة بالامام التى اشترك فيها هو ومحمد جعفر بك . توفى فى ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ هـ

(٢) أخذ الخط عن محمد افندى مؤنس ، وخدم هذا الفن خدمة جليلة حتى أصبح بمصر وحيد وقته فيه ، وكان أكبر أستاذ له بالمدارس الأميرية وتخرج على يديه أكثر خطاطى هذا العصر ومن أنبغهم على بك ابراهيم الذى درس الخط بأنواعه فى مدرسة المعلمين الناصرية ولا يزال متمتعا بنسيم الحياة . وجعفر بك هو الذى كتب حروف المطبعة الأميرية المستعملة الآن ، وتاريخ انشاء مسجد السيدة زينب المكتوب فوق محرابه ، والأبيات المكتوبة فوق بابى هذا المسجد البحريين ، واسم ابراهيم باشا الموجود على قاعدة تمثاله بميدان الأوبرا ، واسم لاظ أوغلى الموجود على قاعدة تمثاله بميدانه ، واسم سليمان باشا الموجود على قاعدة تمثاله بميدانه

عبد الله بك الزهدى (١)

نشأته وحياته — ولد بالأستانة ونشأ بها وتعلم الخط على مشهورى عصره أمثال حافظ راشد أفندى الشهير بأيوب على ومصطفى أفندى عزت الذى كان قاضى عسكر. ومنه أخذ إجازة التدريس. ثم عين معلما للخط بجامع نور عثمانية ثم ندبه السلطان عبد الحميد لكتابة جدران الحرم المدنى فسافر إلى الحجاز لذلك ولما قدم منه واجتاز مصر سنة ١٢٨٠ هـ أبقاه المرحوم اسماعيل باشا وأمر بتعيينه مدرسا للخط بالمدرسة الخديوية سنة ١٢٨١ هـ فقام بتعليمه خير قيام وتخرج عليه كثيرون ممن جودوا الخط وكان لهم فضل عظيم فى نشره وتحسينه، واستمر يعلم الخط حتى توفى يوم الخميس ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هـ ودفن بمقبرة الامام الشافعى بشارع الامام الليث. وقد رثاه حسن باشا حسنى الطُّوَيرانى صاحب لامية الترك بقوله:

مات رب الخط والأقلام قد ... نكست أعلامها حزنا عليه
وانثنت من حسرة قاماتها ... بعد ما كانت تباهى فى يديه
ولذا قد قلت فى تاريخه ... مات زهدى رحمة الله عليه

١٢٩٦

(١) أضفت الى ترجمته بعض زيادات اقتبستها من تاريخ له بخط المرحوم حسن أفندى سرى أحد تلامذته محفوظ لدى الخطاط الشهير الأستاذ محمد افندى الجمل معلم الخط بالأزهر الشريف

آثاره — منها . الخط الموجود على جدران المسجد النبوى . وجدران سبيل أم عباس بالصليبة ، وسبيل الشيخ صالح أبى حديد بجوار الحنفى وقبة السيد احمد البدوى بطنطا ، وكتابة الآيات القرآنية وغيرها على كسوة الكعبة الشريفة ، وتاريخ إنشاء مدرسة خليل أغا ، وتكيته بجهة المشهد الحسينى . وقد أبدع فى هذه الآثار إبداعا يشهد له بالبراعة وطول الباع . ولا تزال ماثلة يتجلى فيها حسن الرونق والجودة

الكتابة الانشائية

كتابة الدواوين — لم يكن لكتابة الدواوين أواخر العصر السالف شان يذكر . لجعل التركية هى اللغة الرسمية مع ما كان عليه الكتاب من التعويل على الصنعة اللفظية بين سجع ، واستعارة ، وتورية ، وجناس ولم يتغير حالها أواخر هذا العصر إلا قليلا . وحينما سرت الينا المدنية الحديثة طرأت عليها عوامل التحسين ، وأخذ الكتاب يعولون على المعانى غير أنه لم يكن قد تربى فى المصريين من فتيان المسلمين من يتولى الكتابة فى مناصب الحكومة وكانت مقاليدها فى يد كتبة القبط[1] ثم استخدمت الحكومة رجال البعثات العلمية ، وتلاميذ المدارس ، والسوريين . فتقدمت شيئا يسيرا كما يتضح ذلك من صورها السقيمة المدرجة فى أعداد الوقائع

(١) اشتهر من بينهم المعلم غالى الذى كان رئيسا للكتاب ، وكاتب سر محمد على باشا وقتل فى سنة ١٨٢١ م

المصرية فى ذلك الوقت . ولما أنشئت المدارس النظامية ، وتولى التدريس بها مشايخ الأزهر ثم متخرجو دار العلوم . نشأت طبقة [١] من كتاب الدواوين رقوا كتابتها ، وهجروا السجع الذى أكثر منه المتقدمون ونفروا من الاعتماد على زخرف البديع الموروث عن مستعربى الفرس فى القرون الوسطى . وكان أكبر باعث لهم على اجتنابه تعلمهم اللغات الأجنبية ، والترجمة منها فانها أقرب إلى الطبيعة ، مبنية على المشاهدة والاختبار . ولايزال الكتاب فى عصرنا هذا جادين فى تنقيحها ، سائرين بها فى سبيل تقدمها حتى تحسن أسلوبها فى وزارتى الحقانية والمعارف وإن بقى فى غيرهما على حال لاتلائم التقدم الفكرى فى هذا الوقت

كتابة التدوين — نحا المؤلفون أول هذا العصر منحى كتابة ابن خلدون فى مقدمته لانكباب الكثيرين على دراستها ومحاكاتها . وكان أكثر الكتب التى وضعت أو ترجمت فى مصر علمية . لشدة الحاجة اليها فى تأييد حكومتها : وإدخال الاصلاحات فى زراعتها وماليتها وإدارتها وقضائها

أما سوريا : فكانت حالة الأدب فيها فى النصف الأول من العصر الحاضر خيرا منها فى مصر ثم انحطت فى النصف الثانى منه ولاسيما بين طوائف النصرانية . لعدول جمعيات البعوث الدينية عن التعليم باللغة العربية إلى اللغة الأجنبية . لذلك لم ينبغ فى اللغة وآدابها من السوريين فى السنوات الأخيرة

(١) من تلك الطبقة عبدالله باشا فكرى وهو أشهر المصلحين للكتابة الديوانية وان كان قد التزم السجع فى بعض مكاتباته الرسمية كما يأتى فى ترجمته

من يضارع سابقيهم إلا أنها منذ عهد قريب سارت فى سبيل نهوضها

غير أن مصر نهضت فى مبدأ النصف الثانى من هذا العصر واسترجعت حياتها الأدبية وأدخلت دراسة تاريخ الأدب العربى فى مدارسها ومعاهدها وألف فيه كثير من الكتب، واتسع ميدان النهضة حينما تم اتصال المدنية الشرقية بالمدنية الغربية فى وقتنا الحاضر، وحدث فيها تغيير هام بما يلائم روح العصر، ويتفق مع المدنية الحديثة. فأصبحت. سلسة الأسلوب، خالية من الألفاظ المهجورة، والعبارة المسجعة، مجردة من الحشو، مرتبة المواضيع ترتيبا منطقيا، مقسمة إلى أبواب وفصول، مضبوطة الألفاظ عند الاقتضاء، مزينة بالرسوم، مفصولة الجمل بالعلامات الدالة على الأغراض مزيله بالفهارس التى تسهل البحث

كتابة الصحف — لم تسلم أول أمرها من الضعف فى العبارة، والخطا فى اللغة والاعراب حتى ولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع المصرية والاشراف على تحرير الصحف فارتقى أسلوبها، وأصبحت فصيحة واضحة ثم نبغ فى وقتنا هذا كثير من بلغاء الكتاب الصحفيين نهضوا بها، واستمرت فى طريق تقدمها، وغدت الكتابة فى كثير منها تضارع كتابة التأليف

مركز مصر الأدبى — أصبحت مصر فى عهدنا هذا قبلة العالم العربى ومنبع بلاغته بمن نشأ فيها من كبار العلماء، والمؤلفين، والمترجمين والمهندسين، والقضاة، والمحامين، والمدرسين، والخطباء، والشعراء، وكتاب

الصحف والمجلات ، وسلك العلم فيها طريقا حديثا ، وسرت فيه روح التعليم الأجنبية المكتسبة من المدنية الحديثة

ومن أشهر العلماء الأزهريين فى هذا العصر الشيخ الجبرتى [١] والشيخ حسن العطار [٢] ، والشيخ الابيارى [٣] ، والشيخ عليش [٤]

---

(١) هو عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الجبرتى (جبرت هى المعروفة بزيلع من بلاد الحبشة) عالم جليل تعلم بالأزهر وتعين كاتبا فى الديوان زمن الفرنساويين . ثم انقطع للتأليف فألف عجائب الآثار فى التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتى وهو من أوثق المصادر التاريخية لقرنى ١٢ و ١٣ للهجرة لمعاصرة مؤلفه أهم حوادثهما ومشاهدته أكثرها شهادة عين . ثم مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس وهو أيضاً كتاب نفيس ترجم الى التركية ثم الى الفرنسية . توفى سنة ١٢٤٠ هـ

(٢) ولد بالقاهرة فى أسرة مغربية من والد فقير أعانه على تحصيل العلم فبرع فيه وتعلم مبادىء الهيئة والعمل بالاسطرلاب واتصل بأفراد من الفرنساويين أخذ عنهم العلوم العصرية ثم درس بالأزهر وتولى مشيخته وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ بعد أن ترك مؤلفات نافعة منها حاشية على شرح الأزهرية وأخرى على السمرقندية

(٣) هو الشيخ عبدالهادى نجا الابيارى . ولد فى ابيار غربية سنة ١٢٤٨ هـ وطلب العلم فى الأزهر الشريف ، وجد فى تحصيل العلوم الاسلامية واللغوية حتى انتهى فيها الى غاية بعيدة ولما ذاعت شهرته استدعاه الخديوى اسماعيل باشا لتثقيف أبنائه ، ثم جعله توفيق باشا إمام معيته ، ومفتيها ومازال فى هذا المنصب حتى توفى سنة ١٣٠٦ هـ . كان أديبا شاعرا ولغويا ثقة . له مراسلات جيدة مع معاصريه من الشعراء والأدباء فى سائر العالم العربى وترك اثنى عشر مؤلفا

(٤) هو الشيخ محمد عليش المغربى ولد بمصر سنة ١٢١٧ هـ . وتعلم بالأزهر ، وتفقه فيه على أئمة عصره وكان عالما جليلا قوى الايمان تقيا ورعا تولى مشيخة المالكية وألف فى الفقه وغيره كاللغة والأدب توفى سنة ١٢٩٩ هـ تاركا مؤلفات قيمة منها فتح العلماء فى الفتوى ، وحل المعقود فى الصرف وحاشية على الصبان ، وشرح على مجموع الأمير

والشيخ محمد عبده وغيرهم — ومن أشهر أركان النهضة الحديثة من غير الأزهريين. رفاعه بك الطهطاوى[١]، ومحمود باشا الفلكى[٢]، وعلى باشا مبارك[٣]، وعبد الله باشا فكرى

---

(١) ولد بطهطا سنة ١٢١٦ هـ. وتعلم بالأزهر وأرسل الى فرنسا فأجاد الفرنسية وبرع فى الترجمة فترجم كثيرا من الكتب، وعين مديرا لمدرسة الألسن والترجمة؛ ثم تولى إدارة مجلة الروضة وتقلد عدة مناصب، ثم عكف على الترجمة والتأليف حتى توفى سنة ١٢٩٠ هـ. ومن أهم ماترجمه جغرافية ملطبرون، والمرشد الأمين فى تربية البنات والبنين، والقانون المدنى الفرنساوى. ومن مؤلفاته الكثيرة. نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز وهو آخر كتاب ألفه

(٢) ولد بالحصة غربية سنة ١٢٢٣ هـ وأرسلته الحكومة الى أوربا لاتقان فنون الرياضة وهو أول من وضع خريطة القطر المصرى وعلى خريطته المعول وناب عن الحكومة فى المجمع الجغرافى سنة ١٨٧٥ م وسنة ١٨٨١ م وتقلب فى كثير من المناصب فتولى نظارة الأشغال سنة ١٨٨١ ثم المعارف ورأس الجمعية الجغرافية وألف الخريطة المتقدمة، ورسالة فى التقاويم الاسرائيلية الاسلامية، ورسالة فى التقاويم العربية قبل الأسلام. بحث فيها عن ولادة صاحب الشريعة الاسلامية صلى الله عليه وسلم وأنها فى ٩ ربيع الأول ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م وله غير ذلك فى الكسوف والايضاح عن أعمار الأهرام. وضرورة انشاء مرصد وتوفى سنة ١٣٠٣ هـ

(٣) ولد سنة ١٢٣٩ هـ بقرية برمبال من أعمال الدقهلية وهو من خير مؤسسى النهضة المصرية. كان رياضيا كبيرا بارعا فى فن الهندسة ذا أعمال نافعة، وخدمات جليلة فما تم على يديه تنظيم المدارس المصرية، وانشاء مدرسة دار العلوم. والمكتبة الخديوية. وقد تولى كثيرا من المناصب حتى جمع بين مناصب عظيمة فى آن واحد فكان يديرها بكفاءة ويخدم بلاده فيها باخلاص فمن خدماته: انشاء ترعتى الابراهيمية والاسماعيلية وكثير من الجسور. وتجديد مدينة القاهرة. ومن أهم مؤلفاته: الخطط التوفيقية ونخبة الفكر فى تدبير نيل مصر وتوفى سنة ١٣١١ هـ

عبد الله باشا فكرى

هو عبد الله باشا فكرى بن محمد أفندى بليغ بن الشيخ عبد الله أحد العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس فى الأزهر الشريف

نشأته وحياته — أنجبه والده عام ١٢٥٠ بمكة المكرمة عند ماذهب مع الجيوش المصرية إلى بلاد الحجاز ثم رجع به إلى القاهرة وتوفى عنه ولم يبلغ عبدالله الحلم . فنشأ يتيما فى حجر بعض أقاربه ، واشتغل بتعلم القرآن الكريم حتى أتمه وجوده . ثم جد فى طلب العلم فى الأزهر وتلقى العلوم المتداولة . وخاصة اللغة والحديث : عن أجلاء علمائه وهو مع هذا مشتغل باتقان اللغة التركية حتى وظف سنة ١٢٦٧ ثم تقلب فى المناصب الحكومية حتى انتقل إلى حاشية سعيد باشا ثم إسماعيل باشا وسافر فى معيته إلى الاستانة غير مرة ثم عينه سنة ١٢٨٤ لمراقبة أنجاله وتدريبهم على اللغات الشرقية ثم تقلد عدة مناصب حتى عين وكيلا لنظارة المعارف سنة ١٢٩٦ هـ ونال رتبة أمير الأمراء ثم صار ناظرا للمعارف سنة ١٢٩٩ هـ ثم استقال فى هذه السنة مع النظار الذين كانوا معه بسبب الفتنة العرابية ثم اتهم فيها وقبض عليه . ولما اتضحت براءته خلى توفيق باشا سبيله ورد اليه معاشه بعد أن استعطفه بقصيدته الرائية الآتية . ثم توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ١٣٠٢ هـ ثم رحل إلى سوريا ، وزار مدنها وآثارها . وهو فى كل مكان يحل فيه موضع الاعظام

والتبجيل ثم تعين سنة ١٣٠٦ هـ رئيسا للوفد العلمى المصرى فى المؤتمر الشرقى الذى انعقد بمدينة استكهلم ولما عاد منه أخذ فى تدوين رحلته فاعترضه المرض وأدركته الوفاة صباح يوم الأحد عاشر ذى الحجة سنة ١٣٠٧ هـ

أخلاقه — كان رحمه الله عفيفا، نزيها، رءوفا، بارا، كريما، لين الجانب، لطيف المحاضرة، قريبا إلى المياسرة، صادق اللهجة، مبالغا فى اتقاء الشبهات، شديد التمسك بأحكام دينه، يرى الاسلام دين الأبد، الناهض بالأمم فى جميع مراتب الانسانية مدى الزمن.

منزلته الأدبية — كان عبد الله باشا كاتبا بليغا، وشاعرا مترجما. اشتهر بالفصاحة من ريعان شبابه، وسلك مسلك كتاب القرن الرابع كالخُوَارَزْمِى[1] والهَمَذانى[2] من التزام السجع القصير القليل التكلف فى أكثر رسائله

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى. ولد بخوارزم ونشأ بها وتضلع من الفنون العربية، وجاب الأقطار فى استفادة العلم والأدب وافادتهما وتقلب فى خدمة كثير من الملوك والأمراء فى الدول المتفرعة عن الخلافة وبعد أن طاب عيشه منى فى أواخر أيامه بمساجلة الهمذانى ومناضلته فانخذل ولم يمض عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ وكان كثير الحفظ للشعر غزير المادة يجرى فى كتابته على طريقة ابن العميد: من الولوع بالبديع والسجع القصير والاقتباس من القرآن والسنة والاشارة للحوادث المشهورة وتضمين الامثال السائرة وتوخى جزالة اللفظ وصحة المعنى

(٢) هو أبو الفضل بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذانى. نشأ بهمذان (مدينة شمالى فارس) ودرس الأدب حتى نبغ فيه ثم صار يتكسب به وأقام مدة بنيسابور أملى فيها ٤٠٠ مقامة. نسج على منوالها الحريرى ثم ذاع صيته بعد مساجلة الخوارزمى وخلا له

وهو من أكبر واضعى الاصطلاحات الكتابية والألفاظ الديوانية المصرية الحديثة

آثاره — وله آثار كثيرة. منها المقامات الفكرية فى المملكة الباطنية والفوائد الفكرية، ونظم اللآل، والفصول الفكرية، وشرح جانب من ديوان سيدنا حسان، ورسالة فى الدينار، وعدة رسائل أخرى

ومن كتابته ما كتبه وصاية بشخص:

رافع هذا الرَّقيم، إلى حِمَى المقام الكريم. يذكر أن مسألته طال فيها المَدَى وبقى فى انتظارها على مثل رءوس المُدَى، ويشكو من الفقر المُدْقِع، والضُّر المُضْجع: ما أحرج صدره، وأخرج عنه صبره، وأشرف به على اليأس والاستسلام لمخالب البأس، لولا أمَل من مولاى يُبقى على حَوْبائه (١) وينشُر تذكاره ميِّت رَجائه، وله فى سيدى ثناء يُبارى نفحات الأزاهر ويَبقى على صفحات الدهر الداهر، ثم هو بَقيَّة بيت حفظت الأيام نَسَبه وإن أضاعت حوادثه نَشَبه، وهو أولى من تَعطف عليه عَواطفُ كرمه وتنعطف اليه جيادهممه، وأرجو أن يحقق مولاى فى تلك الشِّيَم الكريمة ما أمَّله، وأُهدى من الثناء أتَمَّه وأكمله.

الجو بعد وفاته فاتصل بالأمراء وكبار العلماء ونعم حاله وتوفى سنة ٣٩٨ هـ. كان سريع البديهة كثير الارتجال فى الكتابة والشعر. ذا عبارة سهلة. قصير السجع البرىء من التعمل. غزير المادة. متمكنا من صناعة البيان. ومن آثاره مقاماته ورسائله

(١) الحوباء النفس (بفتح الفاء)

ومن جيد نظمه فى نصيحة ابنه :

إذا نام غرٌّ فى دُجَى الليل فاسهر ... وقم للمعالى والعَوالى وشَمِّر
وخلّ أحاديث الأمانى فانها ... عُلالة نفس العاجز المتَحيِّر
وسارع إلى مارمت مادمت قادرا ... عليه فان لم تُبصر النُّجْح فاصبر
ولا تأت أمرا لاتُرَجّى تمامه ... ولا مَوْردا مالم تجد حُسن مَصدر

ومنه فى الاستعطاف والمدح للخديوى توفيق باشا :

كتابى توجَّهْ وجهة السَّاحة الكُبرى
وكبِّر إذا وافيتَ واجتنب الكِبرا
وبلِّغ إلى الباب الخديوى حاجةً
لذى أمَلٍ يرجو له البِشْر والبُشْرى
لدى بابِ سَمْح الراحتين مُؤمَّلٍ
صَفُوحٍ عن الزَّلّات يلتمس العُذرا
كريم تَوَدُّ السُّحْب فَيْض بَنَانه
إذا أرسلت أنْواءُ وابلها غَزْرا[1]
ويستصبح البدرُ التمام بوجهه
فيَلحظ عين الشمس من بعده شَذْرا

(١) النوء : أصله النجم والمراد المطر

ويخجل ضوءَ الصبح وضّاحُ رأيه
إذا ما ادْلَهَمّ الخَطب فى خُطّة نَكْرا

الشيخ محمد عبده

هو الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده خير الدين .

نشأته وحياته — ولد الأستاذ سنة ١٢٦٦ هـ بمحلة نصر إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة ، ونشأ نشأة ريفية . فاستظهر القرآن الكريم فى كُتّاب القرية . ثم أرسل فى طلب العلم إلى الجامع الأحمدى فالأزهر الشريف ، وحضر دروس كبار العلماء فى مختلف العلوم الأزهرية مع الاشتغال بالتصوف حتى حضر مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ هـ وأعاد دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام بعد نضوب معينها عدة قرون . فلزمه الأستاذ هو وطائفة من نابغى الأزهر ، وكان أحرصهم على ملازمته ، وآثرهم عنده ، حتى ظهرت عليه فى وقت قصير آثار انتفاعه بعشرته . ثم نال شهادة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ ، وعين على أثرها مدرسا فى مدرسة دار العلوم ومدرسة الألسن . ثم فصل منهما ولزم بلده إلى أن أشير على الوزير رياض باشا بجعله من محررى الوقائع المصرية ثم عين رئيسا لتحريرها ومراقبا على كتابة الصحف . وجاءت الثورة العرابية فحوكم مع زعمائها وحكم عليه بالنفى ثلاث سنين وثلاثة أشهر قضى شطرا منها فى سوريا ودعاه السيد جمال الدين الأفغانى إلى باريس فاصدرا

صحيفة العروة الوثقى التى لم تعش إلا ثمانية اشهر ثم عاد إلى بيروت فعين أستاذا بالمدرسة السلطانية واشتغل مع التدريس بالتأليف والكتابة ولما عاد إلى مصر بعد صدور العفو عنه عين قاضيا أهليا فمستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية ثم جعل عضوا فى مجلس إدارة الأزهر ثم عين مفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ وتولى التدريس بالأزهر ثم وافاه الأجل سنة ١٣٢٢ وهو بالاسكندرية ودفن بالقاهرة

صفته وأخلاقه — كان الأستاذ الامام مربوع القامة ، ممتلىء الجسم متين البنية ، نشيط الحركة ، جميل ملامح الوجه ، تزيده بهاء لحيته البيضاء حسن الصوت والالقاء ، وثيق الحجة ، قوى العارضة ، ساحر البيان غزير العلم ، ثاقب البصيرة ، مهذبا ، كبير النفس ، صافيها ، كريما ، كثير البر شديد الاحتقار للدنيا ، ذا حرمة موفورة ، وجاه مرعى

أثره فى اللغة والأدب — جد الامام وهو يحرر الوقائع المصرية ، ويراقب الكتابة الصحفية والديوانية فى إزالة ما كان باللغة من تشويه : بكتاباته المختلفة : فى نقد عباراتها ، وبيان خطأ تراكيبها ، وبنشره الكتابات السقيمة وبيان عيوبها ، وإتباعها بأمثلة حسنة فى موضوعها . تدريبا للناشئين ، وتعليما للكاتبين ، وجاهد فى إحياء اللغة وآدابها : بمقالاته الرائعة فى الصحف والمجلات على اختلاف مواضيعها ، وبسنه تدريس الأدب فى الأزهر ، وتعضيده وبمساعدته على إحياء الكتب العربية ، وبطريقته المثلى فى التدريس

بأساليب تمتلك الأسماع ، وتسترق القلوب .

أثره فى العلم والدين — اتصل الاستاذ الامام فى نشأته الشرقية بالحياة الغربية ، وخالط رجالها ، وطالع كتبها ، وسافر إلى مقرها ، وساح فى بلادها فاستفاد منها ، وتأثر بها على نحو ما فى عقليته من حصافة ، ويقينه من ثبات فكان ذا شخصية بارزة فى الحركة العلمية والأدبية والسياسية ، وظهر كل ذلك فى أفكاره ، وكتاباته . وأعانه على خدمة العلم والدين ، وتوفيقه بينهما وتفسيره القرآن تفسيرا منطبقا على تعاليمه ، وروح دعوته ، وإبرازه من غزير علمه فى تآليفه ما بدد سحب الباطل ، وقطعه بالبراهين الدامغة والحجج الملزمة : ألسنة الطاعنين على الاسلام الناقمين على تعاليمه . فهو من أركان النهضة العربية ، ومؤسسى الحركة الفكرية . وخطته الاصلاحية دينية اجتماعية معروفة لا مجال للافاضة فيها

تآليفه — وضع الامام عقب اتصاله بالسيد جمال الدين : رسالة الواردات فى التصوف ، وحاشية على العقائد العضدية فى التوحيد ، وألف وهو فى بيروت رسالة التوحيد ، وشَرَح نهج البلاغة ، ومقامات بديع الزمان الهمذانى ، وعَرّب رسالة الرد على الدهريين ، وكتب فى مدة الافتاء تقريرا جليلا فى إصلاح المحاكم الشرعية ، ووضع تفسيرا لجزء (عم) ، والفاتحة والعصر ، وألف كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، وأملى تفسير : سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء

ومن رسائله . رسالته فى شكوى الزمان والاخوان . وهى :

سَقَطَت الهمم ، وخَربت الذمم ، وغاض ماء الوفاء وطَمست مَعَالم الحق وحُرِّفت الشرائع ، وبُدِّلت القوانين « ولم يبق إلا هوى يَتحكم ، وشهوات تَقضى ، وغيظ يَحتدم . تلك سنة القدر والله لا يهدى كيد الخائنين . ذهب ذوو السلطة فى بحور الحوادث الماضية يغوصون لطلب أصداف من الشُّبَه ليُبرزوها فى مَعْرِض السطوة ، ويُغشوا بها أعين الناظرين . كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة . ولم تَحُلّ قلبى وحشة ـ آه ما أطيب هذا القلب الذى يُملى هذه الأحرف . ما أشد حفظه للولاء . ما أثبته على الوفاء . ما أرَقَّه على الضعفاء . ما أشد اهتمامه بشئون الأصدقاء . ما أبعد هذا القلب عن الايذاء ولو للاعداء . ما أشده رعاية للود . ما أشده محافظة على العهد . ما أقواه إقداماً على العمل الحق . والقول الصدق . لا يطلب عليه جزاء . فكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين . هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم هو الذى سَرَّ قلوبهم . أفَنشرح الصدور وهم يُحرجون ، ونَشفى القلوب وهم يؤلمون ونُفرحها وهم يحزنون . تالله قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض الأصدقاء :

وتناولتُ كتابَك ولم يُذَكِّر منّى ناسيا ، ولم يُنَبِّه لذكراك لاهيا . فانى من يوم عرفتُك لم يَغب عنى مثالُك ، ولا تزال تَتَمَثَّل لى خلالُك . ولو كُشف لك من نفسك ما كُشِف لى منها لفُتِنْتَ بها ، ولحُقَّ لك أن تَتيه على الناس

أجمعين . ولكن ستر الله عنك منها خير ما أودع لك فيها . لتزينها بالتواضع وتجملها بالوداعة ، وتسعى إلى مالم يبلغه ساع . فتكون قدوة لاخوانك فى علو الهمة ، وبذل مايعز على النفس فى نفع الأمة . زادك الله من نعمه وأوسع لك من فضله وكرمه ، ومتعنى بصدق ولائك ، وجعلك لى عوناً على الحق الذى أدعو اليه ، ولاأحيا إلا به ، وله . والسلام

الشعر

ظل الشعر فى أول هذا العصر أسير التقليد مثقلا بالصنعة لم ينل من عناية الأمراء العلويين مانال العلم حتى سرت اليه روح التحسين فى عهد اسماعيل باشا ، وظهر فيه أمثال السيد على ابى النصر (١) والشيخ على الليثى (٢)

وحينما تأثر الشرق بالحضارة الأوربية ، وانتشر تعلم اللغات الأجنبية ونشطت الحركة العلمية ، وتقدمت النهضة الأدبية . نزع الشعراء إلى التجديد والحرية ، وجانب كثير منهم الصنعة اللفظية ، وعنوا جد العناية بصحة المعنى وجلال الأسلوب ، ومالوا عن العبارات العتيقة ، ونفروا عن كثير من الأغراض القديمة ، وناجوا الطبيعة ومظاهرها ، وعللوا الموجودات

(١) ولد فى منفلوط ونظم الشعر وهو صغير ثم نبغ فيه فى عصر اسماعيل باشا ومدحه فقربه وغمره بجوائزه ورافقه الى الاستانة فى زمن السلطان عبد العزيز وتوفى سنة ١٢٩٨ هـ وله ديوان شعر طبع فى مصر (٢) ظهر فى عالم الشعر يومئذ حتى قربه اسماعيل باشا وجعله شاعر المعية ، ورافقه فى أسفاره وكان له مع معاصريه من الأدباء والشعراء مكاتبات ومطارحات . وكان متمكنا من اللغة والأدب . لطيف المعاشرة ، حسن المحاضرة ، خفيف الروح حسن الاسلوب وتوفى سنة ١٣١٣ هـ ولم يدون شعره

وحللوا الشخصيات ، واكتنهوا النفوس ، وطالبوا بالاستقلال . غير أن بعضهم لايزال يقلد السابقين فى ضروب من التعبير ، ووجوه من المقاصد وأنواع من المجاز والتشبيه — ومن أشهرهم

محمود سامى باشا البارودى

هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى الجركسى الأصل المصرى المولد

نشأته وحياته — ولد البارودى بالقاهرة سنة ١٢٥٥ هـ ودرج فى نعمة والده حتى رزأه الموت فيه وهو فى السابعة من عمره فكفله ذوو قرابته حتى إذا بلغ الحادية عشرة أدخل المدرسة الحربية فتعلم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطا بالجيش ثم مازال يترقى حتى كان أحد ضباط الحملة التى أمدت بها مصر الدولة العلية أثناء ثورة البلقان وإقريطش وكان له فى مواقعها شهرة زائدة لما أبداه من المهارة والفروسية حتى أخذ الأوربيون فى واقعة من وقائعها صورته وهو راكب على جواد أدهم . شاهرا سيفه أمام جيشه يشجعهم ويقويهم ، ولما رجع إلى مصر تقلب فى مناصب الجيش وسافر إلى الأستانة فدرس اللغتين التركية والفارسية وآدابهما حتى عد من شعرائهما وهناك اتصل بالخديوى اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ فجعله كاتب سره . ثم كان فى حرب الدولة العلية مع الروسيا وكوفىء برتبة اللواء وبالوسام المجيدى ، ورحل فى أثناء ذلك إلى انكلترا وفرنسا فازداد قوة فى أدبه وخبرة

فى فنه : ثم عين مديراً للشرقية عام ١٢٩٥هـ ثم رئيسا لضبطية القاهرة ثم ولاه الخديوى توفيق باشا نظارتى الأوقاف والحربية ثم استقال منهما سنة ١٢٩٨ ثم تولى نظارة الجهادية فى نظارة شريف باشا ثم عين رئيسا للنظار سنة ١٢٩٩ هـ ثم استقال فى ٩ رجب من هذه السنة . ولما نبتت الثورة العرابية ، ودعى من زعمائها لمساعدتهم أجاب على كره منه بعد ان نصح لهم بالبعد عنها كما يشير لهذا قوله :

نصحت قومى وقلت الحرب مفجعة وربما تاح أمر غير مظنون

وبعد انقضاء الثورة . قضى عليه بمفارقة مصر إلى جزيرة سيلان فمكث بها سبعة عشر عاما كان فيها كعبة يؤمه الكثير من أهل العلم والأدب من بلاد بعيدة لسماع شعره ، والاقتباس من آدابه ، ونظم بدائع شعره وهو فيها ، وأصلح الخطابة الدينية بها ، وترك منها الكثير الموفور لوعاظها ثم شمله عفو الخديوى عباس باشا الثانى فرجع إلى مصر عام ١٣١٧ هـ وبقى فى منزله خمس سنين قضاها فى دعة الشيخوخة ، ومطالعة الكتب ، ومسامرة الصحب ، ومعالجة القريض حتى وافاه أجله سنة ١٣٢٢ بعد أن كف بصره فى أواخر حياته

أخلاقه — كان رحمه الله عفيف النفس ، كريمها ، طيب الخلق ، حلو المعاشرة ، فَكِهَ المحضر ، كيِّسا ، حازما ، نادرة فى الحفظ ، شديد الذكاء صادق الولاء

منزلته الشعرية — نشأ البارودى ميالا بغريزته إلى حفظ الشعر فجد فى درس دواوين الفحول من الشعراء حتى شب فصيح اللسان ، مطبوعا على الاعراب ثم انطلق لسانه بالشعر محاكاة للشعراء المتقدمين بدون تخريج فى عروض وقافية ، وبغير تعلم نحو وبلاغة ـ لهذا جاء شعره فى رتبة فحول القرنين الثالث والرابع ، ضخم المعانى ، جزل الألفاظ ، متين الأسلوب بهج الديباجة ، حسن التخيل ، خاليا من تكلف البديع . كما يتضح ذلك من قصائده التى عارض بها بعض المتقدمين كالنابغة الذبيانى ، وأبى نواس ، والمتنبى

نعم ضعف شعره قبيل وفاته . لكبر سنه ، وكلال ذهنه ، وخمود قريحته

آثاره — للبارودى شعر كثير جمع فى ديوان وطبع منه جزآن ، وله كتاب (مختارات البارودى) وهو مجموع ما اختاره لثلاثين شاعرا من شعراء الدولة العباسية فى أغراض مختلفة . وقد نهج فى اختياره : طريقته . فآثر حسن اللفظ والمعنى ، ثم جودة اللفظ على جودة المعنى ، ووضع له تعليقا يفسر ألفاظه الغريبة ، ومعانيه المغلقة

ومن رائع شعره فى النسيب قوله :

هى نَظْرَةٌ كانت ذَريعة صَبْوة والَّلحظُ أضعفُ مايكون وأقدرُ
ما كنتُ أعلم قبل وَحْى جُفونها أنَّ العيون الجُؤْذُريَّة تَسحَر (١)

(١) الجؤذر (بضم الجيم والذال) ولد البقر

ظَلَموا الأسنَّة خاطئين وليتَهم علموا بما صَنَعَ السِّنانُ الأحْوَرُ (١)
أُمُطاعنَ الفُرسان فى حَمَس الوَغَى أقْصِر فرُمْحُك عن غَريمك أقصَرُ (٢)
أين الرِّماح من القُدودُ وأين منْ لَحظ تَهيمُ به السنان الأخْزَر (٣)
هيهات يَثْبُت فى الوَقيعَة دارِعٌ يَسطُوا عليه مُخَلْخَلٌ ومُسَوَّر (٤)
للحُسن أسلحة إذا ما استجمعت فى حَوْمَةٍ لايَتَّقيها مِغْفَرُ (٥)
فاللَّحظ عَضْبٌ صَارم والهُدب نَبْلٌ صائبٌ والقَدُّ رُمح أسمَر (٦)

ومن جيد قوله فى الفخر :

وإنى امرؤ صعب الشَّكيمة بالغٌ
بنفسىَ شَأوًا ليس فيه نَكيرُ (٧)
وَفَيْتُ بما ظَنَّ الكرام فِراسةً
بأمرى ومِثلى بالوَفاء جَدير (٨)
إذا صُلْتُ كفَّ الدهر من غُلَوائه
وإن قلت غَصَّت بالقلوب صُدور (٩)

(١) سنان الرمح : حديدته . وأراد بالسنان الاحور العين (٢) الحمس : الاشتداد والوغى : الحرب (٣) الأخزر الذى أقبلت حدقاته الى أنفه (٤) الوقيعة : الحرب ودارع : ذو درع (٥) المغفر : مايلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه (٦) العضب : السيف القاطع (٧) الشكيمة : الأنفة والشمم ، والشأو : المنزلة (٧) الفراسة : الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية (٩) الغلواء : الغلو

ملكتُ مَقَالِيد الكلام وحِكمةً
لها كوكبٌ نَجْمُ الضياء مُنيرُ

فلو كنت فى عصر الكلام الذى انقضى
لَباء بفضلى جَرْول وجَرير (١)

ولو كنت أدركت النُّواسىَّ لم يَقُل
أجارة بَيْتَيْنا أبوك غَيُور

وما ضرَّنى أنى تأخرت عنهم
وفضلىَ بين العالمين شَهير

فيارُبَّما أخلى من السبْق أوّلٌ
وبَذَّ الجياد السابقات أخير (٢)

(١) باء بفضلى : أقر واعترف . جرول : لقب الحطيئة ، وجرير : هو الشاعر المعروف (٢) بذ الجياد : غلبها وفاقها

لفت نظر

جاء بصفحة ٧٢ سطر ١٠ لفظ (الدَّوِىِّ) وصوابه (الدَّوِّىِّ)
و « « ٩٧ سطر١٥ « (قسيس) « (قيس)
و « « ١٠٢ « ١٦ « (والمغاربة) « (دون المغاربة)

فهـــرس

كتاب المنتخب فى تاريخ أدب العرب

صفحة

٢ فاتحة الكتاب
٣ تاريخ أدب اللغة العربية : تعريفه موضوعه ، فوائده
٤ نشأة اللغات
٧ أسباب اختلافها
٨ العرب : منزلتها . قدمها . نسبها
٨ طبقاتها : البائدة . العاربة المستعربة
٩ موطن العرب . أقسامه
٩ عصور تاريخ أدب اللغة العربية

العصر الأول ـ عصر الجاهلية

١٠ اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر
١٠ اللغة العربية : مبدأ تكوينها، مميزاتها
١١ مراتب تهذيب اللغة وتوحيدها
١٤ مقاصد اللغة . معانيها
١٥ ألفاظها
١٥ كلام العرب . النثر . قسماه
١٦ نموذج من المرسل والمسجع

صفحة

١٧ الحكمة والمثل . أقسامهما نماذج منهما
١٩ الخطابة . نشأتها . دواعيها
٢٠ مقاصدها . أسباب رقيها عاداتهم فيها
٢٠ كمال الخطيب
٢١ أسلوبها
٢١ قس بن ساعدة الايادى
٢٣ أكثم بن صيفى التميمى
٢٥ الشعر . انطباع العرب عليه وأسبابه
٢٦ عنايتهم به . مكانته فيهم
٢٧ أوليته . أغراضه
٢٨ مميزات معانيه . مميزات ألفاظه
٢٨ التعرف بالمعلقات وشعرائها
٢٩ وجه تسميتها
٣١ عددها وأصحابها

العصر الثانى

عصر صدر الاسلام

٣٤ اللغة العربية فى هذا العصر

صفحة

٣٥ الآثار التى حدثت فيها
٣٦ القرآن الكريم . اعجازه
٣٧ نزوله وجمعه
٣٨ أثره فى اللغة
٣٩ السنة . جمعها . أثرها فى اللغة
٤٠ الخطابة . أسباب رقيها . مميزاتها
٤١ الخطباء . نبذة من خطبه صلى الله عليه وسلم
٤٢ سيدنا أبو بكر
٤٤ سيدنا عمر
٤٦ سيدنا عثمان
٤٨ سيدنا على
٥٠ سحبان وائل
٥١ الرسائل . الحاجة اليها
٥٢ أغراضها . أسلوبها
٥٣ مميزاتها . سبيلهم فيها
٥٣ نبذة من رسائله صلى الله عليه وسلم
٥٤ نبذة من رسائل أبى بكر رضى الله عنه
٥٥ نبذة من رسائل عمر رضى الله عنه
٥٦ نبذة من رسائل عثمان رضى الله عنه
٥٧ نبذة من رسائل على رضى الله عنه
٥٧ الشعر

صفحة

٥٨ أسباب فتور القرائح عن نظمه
٥٩ أغراضه . أسلوبه
٦٠ حسان بن ثابت

العصر الثالث

عصر الدولة الأموية

٦٣ اللغة وآدابها فى هذا العصر
٦٣ انتشارها . أسباب سعتها
٦٤ ظهور اللحن . عناية بنى أمية باللغة وآدابها
٦٥ الخطابة . منزلتها
٦٦ أسباب تقدمها . مميزاتها عاداتهم فيها
٦٧ الخطباء . زياد بن أبيه
٧٠ الحجاج
٧٤ الكتابة الخطية . الخط عند العرب
٧٤ الخط فى ابتداء الاسلام
٧٥ الخط فى عصر بنى أمية
٧٥ اعجام الحروف
٧٧ الخليل بن أحمد
٧٩ الكتابة الانشائية . الرسائل
٨٠ أسلوبها . سبيلهم فى تحريرها
٨٠ كتابة الدواوين

صفحة

٨١ عبد الحميد الكاتب
٨٤ الشعر . حاجتهم اليه . فنونه
٨٥ الشعراء . المفاضلة بين جرير والفرزدق والأخطل
٨٥ عمر بن أبى ربيعة
٨٩ الأخطل
٩٢ الفرزدق
٩٥ جرير

العصر الرابع
عصر الدولة العباسية

٩٨ اللغة العربية وآدابها الى العصر الحاضر
٩٨ دور التقدم
١٠٠ دور الانحطاط

التغييرات التى طرأت على اللغة العربية

١٠٢ أغراض اللغة
١٠٣ المعانى والأفكار
الألفاظ والأساليب
١٠٥ نشوء العامية
١٠٧ تكوينها
١٠٧ الخطابة : قوتها . توفرها . بلاغتها

صفحة

١٠٨ ضعفها
١٠٩ الخطباء . داود بن على
١١١ الشعر
١١٢ أغراضه ومقاصده
١١٤ معانيه وأخيلته . ألفاظه وأساليبه
١١٥ أوزانه وقافيته
١١٦ الشعراء
١١٧ بشار بن برد
١٢٠ أبو نواس
١٢٤ مسلم بن الوليد
١٢٦ أبو تمام
١٣٠ البحترى
١٣٤ المتنبى
١٣٨ أبو العلاء
١٤٢ بهاء الدين زهير
١٤٥ الخط
١٤٨ ابن مقلة
١٥٠ الحافظ عثمان

العصر الخامس
عصر النهضة الحديثة

١٥٢ اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر
١٥٥ نهضة اللغة العربية

صفحة
١٥٧ أسبابها
١٦٠ اتصال المدنية الشرقية بالمدنية الغربية
١٦١ تأثير ذلك الاتصال فى اللغة وآدابها
١٦٢ لغة المحادثة
١٦٣ الخطابة
١٦٥ الكتابة الخطية
١٦٦ عبد الله بك الزهدى
١٦٧ الكتابة الانشائية : كتابة الدواوين
١٦٨ كتابة التدوين
١٦٩ كتابة الصحف
١٦٩ مركز مصر الأدبى
١٧٣ عبد الله باشا فكرى
١٧٦ الشيخ محمد عبده
١٨٠ الشعر
١٨١ محمود سامى باشا البارودى

فهرس الهامش

٣ أدب اللغة
٦ أرجحية أن اللغات من وضع البشر
١١ أسباب اختلاف اللهجات
١١ الآثار الباقية منها
١٢ سيل العرم، ومكانه، ووقت حدوثه

صفحة
٢٦ المتكسبون بالشعر فى الجاهلية
٢٩ الترجيح بين الآراء فى وجه تسمية المعلقات
٣٥ ألفاظ كره الشارع النطق بها
٣٦ ألفاظ جدت فى الاسلام
٦٠ معنى المخضرمين
٦٤ المصطلحات التى جدت فى الدولة الأموية
٨١ نقلة الدواوين
١١٥ المواليا . الموشحات
١١٦ الزجل
١١٨ حماد
١٢٠ خلف الأحمر
١٢١ أبو زيد . أبو عبيدة
١٢٦ دعبل
١٢٧ ابن الزيات
١٢٨ طبقات الشعراء فى عصر بنى العباس
١٣١ المبرد
١٣٤ نبوة أبى الطيب
١٣٥ ابن العميد
١٣٩ السيد المرتضى
١٤٦ الأحول
١٤٩ ابن رائق

صفحة		صفحة	
١٥٣	ابتداء البعوث زمن محمد على	١٦٤	جمال الدين الأفغانى
١٥٦	الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى	١٦٥	محمد مؤنس أفندى ومحمد جعفر بك
١٥٨	تاريخ دخول الطباعة مصر	١٧٠	الشيخ الجبرتى . الشيخ العطار الشيخ الابيارى . الشيخ عليش
١٥٨	تاريخ إنشاء بعض الصحف العربية	١٧١	رفاعة بك . محمود باشا الفلكى على باشا مبارك
١٦١	الواو	١٧٣	الخوارزمى . الهمذانى
١٦٣	محمد عثمان جلال بك	١٨٠	السيد على أبو النصر . الشيخ على الليثى
١٦٣	السيد عبد الله نديم		

﴿تم الفهرس﴾

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ

892.709:Z392mA

زيد، مصطفى بدر.

المنتخب في أدب العرب.

892.709
Z392m A

J. Lib.

9 DEC 1933

892.709:Z392mA:c.1
زيد ،مصطفى بدر
المنتخب في ادب العرب ...
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01035399